أحمد رجب

توته توته



الإهداء

... إليها

... إلى المخلوق الأحلى والأجمل والألطف والأظرف والأرق والأكثر ذكاء ..

إلى حواء التى خرجت من ضلع آدم وفتحت عينيها لتجد أمامها مخلوقاً قوياً جباراً كله عضلات فى عضلات ، فألهمها ذكاؤها – منذ الدقيقة الأولى – أن تلجأ إلى لعبة مصارعة الثيران فى التعامل معه .. فإن لعبة مصارعة الثيران هى مباراة بين العضلات وبين المهارة الذهنية ، والذكاء ..

... إعجاباً منى بذكائها الداهم الذى انتصر على عضلات الرجل فى كل مكان وكل زمان .. من عصر الفستان النباتى الشهير بورقة التوت .. إلى عصر ورقة التوت الحريرية الشهيرة بالبيكينى !

أحمد رجب





هناك تهمة توجه إلى التليفزيون – على المستوى العالمى – وهى أنه مسئول عن إصابة « فن الحديث » بين الزوج وزوجته باسفكسيا الخنق !

فالشكوى العالمية أن الزوج يدخل من باب البيت ، فلاتسمع منه المدام غير كلمتين وتكتين ، الكلمتان هما : هالو هنى ، والتكتان هما : تك تك ، أو صوت بوستين ساقعتين على خدها من باب الواجب ، وبعدها يجلس الزوج مخروساً أمام التليفزيون وكأن أحداً قد دعا عليه بقطع لسانه وجازت فيه الدعوة ، فلا كلمة حلوة ، ولا حتى كلمة وحشة ، ولا حاجة أبداً !

وتقول إحدى الزوجات إنها نسيت صوت زوجها لمدة ١٤ سنة هي عمر التليفزيون فى البيت ، ثم فكرت فى وسيلة تفك بها أربطة التحنيط التى عقدت لسانه ، فلم تجد وسيلة غير إتلاف التليفزيون عمداً ومع سبق الإصرار !

وبعد عشرة شهور من إتلاف التليفزيون ، أحرز زوجها تقدماً ملموساً فى النطق ومحاولة الكلام ، والظاهر – من فرحتها الواضحة فى رسالتها إلى محررة نسائية – أن زوجها بدأ يقول « امبو » عندما يريد الشرب و « ممه » عندما يريد الأكل ، و « دحة » عندما يريد اللبس !

وهـذا التقدم الواضح فى محاولة الكلام عند الزوج هو الذى دفع زوجته إلى أن تنصح كل زوجة نصيحة ثمينة تقول : ارمى تليفزيونك ياأختى ، وابدئى الحياة !

وزوجة أخرى تصف التليفزيون بأنه وحش يفترس الحياة الخاصة للزوجين بسبب إدمان الأزواج على مشاهدته فى تعلق طفولى غريب ! فالتيفزيون يوشك أن يعصف بحياتها الزوجية قبل مضى سنتين على زواجهما ، فهى لا تزال تعيش فى رومانسية أيام الخطوبة والغرام ولكن زوجها مفقود اللسان والدماغ بسبب التليفزيون ، فهى تهمس له : أحبك فوق ماتتصور ياسميث . فلا يصدر من سميث – وهو يتابع المسلسلة – غير صوت خافت يقول : ها ها .. فتعود لتقول له : سميث .. ساعة ماباشوفك جنبى ماأقدرش أدارى وأخبى ، فيصدر منه نفس الصوت : ها ها .. وتلبس له الحرير أخضر فى أخضر .. وتمشى قدامه

تتمخطر ، فلا يفكر فى أن يلوى رقبته نحوها ، ولا حتى أن يحييها بالكلمة الوحيدة التى يعرفها : ها ها .. وهنا تضطر هى إلى أن تقول هىء هىء وعيونها تسح فى فراشها ! ..

والواقع أن هذه الحملة الحريمى ظالمة والمظلوم فيها – والشهادة لله – هو التليفزيون ، فسواء وجد التليفزيون فى البيت أو لم يوجد فهناك دائماً مشكلة الخرس المنزلى ، تلك الحالة الغريبة التى تظهر أعراضها علينا – نحن الرجال – بعد كذا سنة زواج ، فيصبح الزوج كالراديو الخربان أو الراديو الذى فرغت بطارياته بعد أن كان أيام الخطوبة والغرام يتكلم لبلب على جميع المحطات والموجات ، ويقدم للحبوبة – زوجته حالياً – كل أنواع البرامج الكلامية وكل ألوان التمثيليات العاطفية ذات الكلام المؤثر بشدة ، فما إن يمر على زواجه كذا سنة حتى يصاب بذلك الخرس المنزلى الغريب ، وهو منزلى لأنه لا يلازم الزوج إلا فى البيت ، أما خارج البيت – مع المعارف والأصدقاء – فلسانه رياضى جداً ونشـيط جداً بمناسبة وغير مناسبة .

ولا ينجو زوج من ذلك الخرس المنزلى إلا فى حالات خاصة إذ يظل الزوج ، فى تلك الحالات – محتفظاً بنشاطه الكلامى ، فلا يكف طول وجوده فى البيت عن التعبير بكل مشاعره وانفعالاته عن العيشة الزفت مع المدام ، ويمتلىء البيت بالحركة والحياة دونا عن أى بيت يخيم عليه الخرس المنزلى ، إذ تبادله الزوجة شعورها الصادق بميلة بختها الأسود ، فيزداد لسانه السكر

نشاطاً ، ولا تملك الزوجة إلا أن تردد أغنية تصف لسان جوزها تقول : مبرد أقول أكتر .. من المبرد ميتين مرة !

فالتليفزيون إذن برىء مما تعانيه الزوجات من خرس الأزواج ، فإذا لم يكن التليفزيون موجوداً فى البيت دس الزوج رأسه فى جريدة ومارس هوايته الخرسية المفضلة ، أو جلس يتأمل الكون من النافذة أو الفراندة ، أو خرج إلى أصدقائه فى القهوة أو النادى إذا وحشه صوته !

وبكل شجاعة أدبية ، يجب أن نعترف –نحن الرجال– أن هذا العيب الشنيع فينا هو مبعث تعاسة أشنع للزوجات المسكينات خصوصاً أن البعض منا يبدأ خرسه قبل الأوان ، مثل ذلك الرجل الذى طلبت زوجته الطلاق لأنه لم يتكلم معها إلا أربع مرات فقط طول حياتها الزوجية التى أنجبت خلالها أربعة أولاد !!

ولا أعرف زوجة سعيدة بخرس زوجها سوى زوجة صديقى حسن الفلانى ، فقد تزوجا بعد قصة حب سينمائية عنيفة ، ومضت السنوات فى العش الوردى وهو يهمس لها فى كل لحظة بكلمة حب حلوة ، حتى وافاه الخرس المنزلى المحتوم تدريجيا .. إذ شعر أن أحباله الصوتية – داخل البيت – بدأت تتحول إلى شىء أشبه بأسلاك التليفونات العطلانة ، إلى أن جاء اليوم الذى جلس فيه كتمثال بوذا ، هى تتكلم وهو يكتفى بدور السميع ، واسترعى صمته انتباهها فسألته : ساكت ليه ياحبيبى ، فتنهد وهو يهز

رأسه : والله صدق أحمد رامى لما عبر عن أعظم حالات الإحساس بالحب :

– بيقول إيه رامى يا حبيبى ؟

فقال حسن الفلانى اللئيم : ولما اشوفك يروح منى الكلام وانساه .. من فرحة القلب ساعة مايلاقيك وياه !

فاحتضنته وهى تهمس فى نبرة حالمة : قول كمان .

من يومها ومدام حسن الفلانى سعيدة بأنه لما يشوفها يروح منه الكلام وينساه ، ومن يومها أيضاً وحسن الفلانى يجلس فى البيت كتمثال بوذا ، لا كلام ولا حديث ، ولا يعكر صفو حالته الخرسية سوى ذلك الجهد العنيف الذى تبذله أحباله الصوتية وهو يقول لزوجته يوماتى : ولما أشوفك يروح منى الكلام وانساه ، ثم يغيب فى الخرس العظيم !

ولكن لماذا يصيب الخرس المنزلى الزوج ولا يصيب الزوجة؟؟

لعل ذلك يمكن تفسيره بأن إنسان عصر الكهف كان يقضى نهاره فى الصيد وجلب الطعام ، حتى إذا أقبل الليل ، اتخذ مكان نومه بالقرب من باب الكهف للقيام بالحراسة والتصدى لأى حيوان متوحش يدخل فى ظلام الليل من باب الكهف المفتوح ، وكانت أنثاه – التى تنام بالداخل – تخشى أن يستغرقه النوم العميق ويغفل عن الحراسة ، فكانت تشاغله بالحديث لتطمئن إلى يقظته :

– خورش ياحبيبى .. قوللى ح تصيد لنا إيه بكره ناكله ؟

– ....

– خورش .. يا خورش ..

– هه ؟ .. أيوه ..

– انت نمت ولا إيه ؟

– أبداً .. عايزه حاجة ؟ ..

– باقول إيه يا خورش .. نفسى بكرة فى أكلة غزال ..

– ربنا يسهل ..

– أما جارنا شمردخ اللى بعدنا بكهفين صاد النهارده حتة غزالة ..

– ....

– شفت مراته واقفه تشويها والدنيا مش سايعاها .

– ....

– على فكرة يا خورش .. الأرانب اللى انت صدتها النهارده كانت عجوزة ولحمها بيشد .

– ....

– أخدت سوا جامد ع النار ..

– ....

– بالحق نسيت أقولك .. موش النهارده شفت زركوك مرات كنوخ .. أما كانت لابسة حتة عقد من عضم التيتل .. لكن يجنن .

– ....

– تلاقى جوزها اشتراه لها من كهف الشوارلى ..

– ....

– خورش .. يا خورش ..

– أيوه ..

– انت نمت ولا إيه ؟ ..

– وبعدين فى ليلتك اللى موش فايته دى .. ؟

بمثل هذا الصد السخيف ينهر خورش – إنسان الكهف – زوجته اللطيفة الودود ، لميله الفطرى إلى الخرس ، وميلها الفطرى إلى الائتناس بصوت زوجها الذى يبعث فى نفسها الأمن والطمأنينة .

لذلك يقال إن ميل المرأة إلى الحديث المستمر مع زوجها هو نزعة وراثية انحدرت إليها من أنثى عصر الكهف ، فصوت الرجل لا يزال يسبغ على المرأة الإحساس بالأمن والحماية .

ولكن الرجل ضنين بصوته ..

.. أخرس !

ولا أعرف على وجه التحديد أسباباً وجيهة لذلك الخرس الذى يصيب الأزواج ، والأرجح أنه رد فعل لذلك المجهود الكلامى العنيف الذى يبذله الرجل فى مرحلة الغرام والخطوبة وشهر العسل . فالمرأة فى تلك المرحلة تكتفى – على غير عادتها – بقليل الكلام حتى تترك للرجل أكبر وقت ممكن تسمعه خلاله باستماع

غزله الرقيق وحبه الذى هو شكل تانى ، ولا يلبث الرجل أن يكتشف بعد تلك المرحلة أنه قال كل ما عنده !

ونزعم – نحن الرجال – أنه بعد مرحلة الأوهام الجميلة – أيام الغرام الحامى – تأتى مرحلة حقائق الحياة الزوجية وواقعها ومشاكلها الفلوسية بالنسبة لمطالب البيت والعيال ، فتتعقد سحنتنا فى فكر مهموم ونفضل الخرس المنزلى على الكلام فى مشاكل البيت والعيال .

طبعا هذه أنانية لعينة منا – نحن الرجال – فصحيح أن الرجل يعود من عمله منهوك القوى والأعصاب ورأسه مزدحم بالمشاكل ، لكن ما ذنب الست الظريفة اللطيفة زوجته التى تعتبر العاطفة محور حياتها بحكم انتمائها إلى جنس حواء ؟ لماذا يجلس مخروساً ولا يقول لها كلمة حب حلوة ؟؟ لأن العيال داخلين مدارس وعايزين مصاريف وملابس ؟؟ وإيه يعنى ؟؟ ما علاقة هذا بأن يكون عاشقاً رقيقاً معها زى زمان ؟ لماذا لا ينسى حكاية العيال ويهمس إليها : ساعة ما باشوفك جنبى ما أقدرش أدارى واخبى وابكى من فرحة قلبى وانسى العيال ! لماذا لا يتنهد عند جلوسها إلى جواره ويقول فى لوعة : أم محمد بجانبى كل شىء إذن حضر !!؟

لماذا لا يطوح رأسه مع رأسها ويقول طوحنا ياهوى ياهوى ياهوى طوحنا ؟؟ عيال إيه ومصاريف مدارس إيه وكسوة إيه وكلام فارغ ؟ إنها حجج فارغة لنا – نحن الرجال – حتى نبرر ذلك الخرس المنزلى الذى نستمتع به أمام التليفزيون .



أشد الحريم عداوة للرجل امرأة أمريكية صناعتها الكتابة ، وهوايتها الخاصة شتيمة صنف الرجالة ولعن سنسفيلهم ، فهذه المرأة – دورثى رو – نذرت لسانها للردح كأى فتواية ، واعتبرت أن لعن أبو خاش الرجالة هو زكاة عن صحتها وعافيتها ، أما بهدلتهم فهى رحمة ونور على شهيداتهن من الستات !

وهى تعادى الرجال لله فى لله ، فلا هى عانس تكرههم لأنها لم تصادف فيهم مغفلاً يسترها ، ولا هى امرأة تغدى بها رجل قبل أن تتعشى به ، بل هى زوجة فى منتهى الوفاء ، أقصد منتهى الوفاء لنفسها ، الأمر الذى أغرانى يوماً أن أرسل إلى زوجها برقية تقول :

– خالص العزاء فى زواجكم الأليم ..

وقد بلغ من كراهية هذه المدام لصنف الرجالة أنها كتبت كتاباً أطلقت فيه على الرجل كلمة « العدو » ، ونصحت بنات جنسها برفع شعار « اعرف عدوك » كخطوة أولى للإجهاز على هذا الصنف الملعون !

وهى فى كتابها هـذا تلوم جدنا آدم بشـدة ، وتنقد موقف حواء من ذلك الرجل عندما التقت به لأول مرة فى الجنة ، فلولا موقف حواء الهزيل لتغير وجه العلاقة بين الرجل والمرأة على مر التاريخ ، ولأمكن للمرأة أن تضرب الرجل على دماغه بكل فخر !

فإن فتواية المدبح الأمريكية تقول إن حواء فتحت عينيها لأول مرة فى جنة عدن لتصعق برؤية مخلوق غريب ومخيف هو ذلك الرجل آدم ، شىء له جثة ضخمة مغطاة بالشعر ، رأسه منكوش كالمجانين ، وذقنه منفوشة وطولها نص متر ، وعضلاته منفوشة كشعره ، وفى عينيه نظرة وحش مفترس !

ولم يكن ينقص فتواية المدبح الأمريكية إلا أن تقول إن أنيابه البارزة كانت تقطر دما ، وأنه كان يدور حول حواء وهو يعوى قائلاً : أكلك منين يا بطة أكلك منين !

كيف تصرفت حواء فى أول رانديفو مع آدم ؟؟

إن تصرف حواء يلهب أعصاب دورثى رو من الغيظ ، فقد

انخلعت مفاصل حواء رعباً من هذا المخلوق المخيف الذى تواجهه لأول مرة ، فتلفتت حولها حيرى تبحث عن نجدة وهى تنتفض ولا مغيث ، فلا عسكرى بوليس يسرع إليها وهى ترقع بالصوت ، ولا مسدس فى يدها تفرغه فى بطن الوحش الذى يتفرسها فى صمت مريب ، ولا قطعة حجر بجوارها تفلق بها دماغه ، وهنا وقعت حواء فى الغلطة الأبدية التى سببت العذاب لبناتها من بعدها ، إذ رأت أن تستسلم لهذا المخلوق فهو – فى تقديرها – وحش .. فواضح أنه الأقوى والأضخم ، وبقاؤها متوقف على موافقته ومزاجه ، ورضاه عنها متوقف على قبولها لكل ما تمليه سخافاته ، وعندما استقر رأيها الفاسد على الخضوع ، مشت نحوه بابتسامة تنافقه وتتملقه اتقاء شره ، وفى تلك اللحظة التعيسة التى خطت فيها نحوه ، لم تكن حواء تعرف أنها ترتكب أكبر جناية فى حق بناتها ، فقد أفسدت آدم بأن علمته الغرور والإحساس بالقوة ، وأتاحت له فرص السيطرة والتسلط ، فوضعها فى مركز التابع للمتبوع ، وكان هذا منتهى المسخرة من حواء !

وتقول فتواية المدبح الأمريكية إنه منذ هذا اللقاء الأول بين آدم وحواء إلى يومنا هذا ، أصبح أشد الرجال سفالة ، يجد دائماً المرأة التى تداهنه وتنافقه وهى تمتدح سفالته ولا أحد مسئول عن هذه المهزلة إلا حواء ثم بناتها من بعدها ، فقد ساعدن الرجل على استمرار هذا الوضع البدائى الغريب دون تمرد !

وواضح جداً أن فتواية المدبح تريد أن تقول إن هناك أزواجاً

من سلالة آدم أمكن ترويضهم بالضرب ، وهؤلاء الأزواج فيهم من هو موفور الصحة والعافية ، ومن هو فى حجم السيد قشطة والبغل الاسترالى ، ومع ذلك ، فعندما تضربه زوجته لا يرفع يديه إلا دفاعاً عن نفسه ، ولمجرد أن يغطى بهما وجهه وقفاه ، وحتى الذى يصيبه منهم ضربة تجعل بياض عينيه بلون الدم فإنه يتباهى بذلك زاعماً أن زوجته مفتونة بسحر عيونه لدرجة أنها تبوسه من عينيه .. وهذا الأحمر من شفتيها !

وإذا كان لآدم أحفاد بهذه الطباع الوديعة بعد الترويض فما هو المانع من أن جدهم آدم نفسه كان من هذا الطراز ؟ فالذى تريد أن تقوله فتواية المدبح إن حواء كان يجب أن تدرك مسئوليتها الكبرى فى أول لقاء مع آدم ، إذ كان يتحتم عليها فى هذا اللقاء الحاسم أن تضع الأساس السليم للعلاقة بين الرجل والمرأة ، فتستبعد فكرتها الانهزامية بالاستسلام لآدم .

ماذا كان يجب عليها أن تفعل ؟

كان يجب عليها أن تغامر ، وترفض فكرة الموقف الدفاعى فتستجمع شجاعتها وتقف فى ثبات أمام والدنا آدم متخذة تكتيك نابليون ، وهو أن الهجوم خير وسائل الدفاع ، يدها فى وسطها كأى معلمة ، وعيناها تستعرضان آدم بحاجب مرفوع ، وبنظرة احتقار من فوق لتحت وبالعكس ، ساقها تهتز فى عصبية وتحفز ، ووجهها يطفح بالقرف من خلقته ، ثم تستفزه بالتعليق على وحاشة هذه الخلقة بعد مصمصة الشفتين : ما تحكمش يا رب !

ومثل هذه الخطوة الجريئة من حواء كانت كفيلة بهز ثقة آدم فى نفسه ، ثم تبدأ خطوتها الثانية بأن تشخط فيه وهى تسأله من يكون ، وماذا يريد منها ، وما الغرض من وقوفه أمامها كاللوح ، وبعد أن تنهى زعيقها بالعبارة المأثورة : يا سم كده ، تستدير مبتعدة فى خطوة واثقة ، وكان هذا كفيلاً بأن يعتقد آدم أن هذه المخلوقة الجديدة – التى يجهل حتى تلك اللحظة طبيعتها – هى قوية ، وعنيدة ، ويجب أن يعمل لها ألف حساب .

ولا شك أن آدم – عند هذا الحد – كان سيفقد نصف ثقته بنفسه ، وكان سيسعى خلفها بحذر ، وبنصف ثقة ، وذلك من باب الرغبة فى التفاهم ، وما إن يبلغها حتى تستدير نحوه متحفزة ، وما إن يضع يده على كتفها لفتح باب الود والتفاهم حتى يفاجأ بقلم يرن على خده وصوتها الغاضب يهدر بالشتائم ، وبينما آدم مشلول التفكير والحركة من هذه المفاجأة ، كان على حواء أن توقعه على الأرض بمقص حرامية ، وعلى الأرض كان آدم سيشعر أن النصف الباقى من ثقته بنفسه قد تبدد ، ولأنه – حتى تلك اللحظة – كان جاهلاً بكل فاعلية قواه العضلية ، إذ عاش وحيداً فى الجنة بلا صراعات مع الآخرين ، فقد كان يجب على حواء أن تنتهز فرصة جهله بقوته ، وأن تنقض عليه وهو على الأرض لتعلن أول حرب عالمية ، تعجنه فيها ضرباً ورفساً ولكماً ، ولا شك أن آدم كان سيؤمن بعد هذه المظاهرة من الإرهاب النفسى والعضلى ، أنه مخلوق لا حول له ولا قوة ، وأن لحواء الأمر وعليه الطاعة .

وبهذا التفكير العضلى الخائب تفكر فتواية المدبح ، ولو أن حواء تصرفت على هذه الصورة لانقرض البشر ، إذ سيصبح استعمال العضلات وضرب المرأة للرجل تقليداً نسائياً حميداً ، الأمر الذى كان سينمى عضلات المرأة على مر الزمن حتى يصل التطور – العضلى – إلى جيل من النساء كل واحدة منهن لها كور ضخمة من الحجر فى الذراعين والساقين والظهر والبطن والرقبة ، يقابل ذلك حالة تدهور عضلى عند الرجل ، وطبعاً امرأة لها جسم وعضلات كلاى لا يمكن أن تشجع رجلاً على الزواج إلا إذا كان قد أجريت له عملية استئصال مخ ، ولا يمكن أن يتزوج رجل فى تلك الحالة إلا بالإكراه ، عندما يقع تحت إكراه العضلات والمجانص ، فتمسك به امرأة من قفاه وتعصر رقبته بين مفصل ذراعيها ، وتجره جراً إلى المأذون ليمضى عقد إعدامه .

ولو كانت العضلات من نصيب المرأة لا الرجل ، لخسرت المرأة أقصر الطرق لتحقيق غاياتها وهو : هبالة الرجل ، فضعف الأنوثة أقوى بمراحل من عضلات شمشون الجبار ، وهذا الضعف هو الذى يحيل الرجل من بنى آدم عاقل إلى إنسان أهبل ، فحواء لم تهجم على آدم وتمسك بزمارة حلقه لترغمه على قطف التفاحة المحرمة ، ولا هى دخلت معه فى ماتش بوكس حطمت فيه ضلوعه ليأتى لها بالتفاحة ، بالعكس ، لجأت إلى منتهى الرقة ، منتهى الضعف ، فلا أحد يعرف على وجه التحديد ما الذى جرى فى تلك الفترة القصيرة التى سبقت قطف التفاحة ، لا أحد يستطيع أن

يصف بالضبط أى نعومة دافئة كانت عليها حواء ويدها تمسح شعر والدنا فى حنان ، أى رقة عذبة كانت تنطق بها اسم الدلع الذى كانت تنادى به آدم ، أى همسات انسابت من شفتيها حتى توصله إلى حالة انعدام الوزن أو حالة الهبالة ، ثم أى إحساس بالزهو والقوة كان عليه آدم فى تلك اللحظات وهمساتها تتغنى بعظمته وحلاوته وسحر عيونه ؟ ..

هل كان آدم قوياً حقاً فى تلك اللحظات ؟؟ أبداً ، كان فى منتهى الضعف وهو يسلك درب المهابيل الذى ألجأته حواء إلى السير فيه .

هل كانت حواء ضعيفة حقاً كما بدت له ؟؟ أبداً كانت فى قمة قوتها رغم خلوها من العضلات ، ورغم صوتها الهامس الضعيف ، فقد ضحكت عليه ، وقطف الثمرة المحرمة ، وسجلت حواء بهذه القصة أول من اخترع لعبة مصارعة الثيران ، أو لعبة انتصار الذكاء على القوة العضلية !

وقد كانت قصة التفاحة هى أول وآخر كتاب ألفته حواء واختارت له عنوان « درب المهابيل » على الغلاف ، وعلى أول صفحة كتبت الإهداء : إلى كل بناتى .. حتى تعرف كل بنت كيف تحول الرجل من إنسان معقول إلى واحد مهبول !! ..

وقد أخلصت كل بنت فى مذاكرة كتاب ماما الذى كان بداية لسلسلة طويلة ومتصلة لقصص اعتداء ذكاء المرأة على هبالة

الرجل ، أو قصص انتصار مصارع الثيران – بمهارة الدهاء – على عضلات الطور !

والتاريخ مزدحم بقصص لا حصر لها عن بنات حواء اللواتى ذاكرن كتاب ماما بكل نباهة !

فقد حفظته صم – مثلا – دليلة معبودة شمشون الجبار الذى دوخ أعداءه وحيرهم بسر قوته الخرافية حتى اشتروا دليلة بالفلوس لتعرف لهم السر ، وفى ساعة انسجام ، استطاعت دليلة أن تصل بشمشون العضل إلى حالة انعدام الوزن العقلى ، فإذا به يتحول من شمشون الجبار إلى شمشون الحمار ، يبرطع بسعادة فى درب المهابيل وهو يفضى إليها بسر قوته .. وضاع شمشون كما ضاع من قبله ومن بعده ألف شمشون وشمشون .

وحفظت كليوباترا كتاب الوالدة ، وطبقت تعاليمه على مارك أنطونيو الذى جاء لإخضاعها ، واستطاعت كليوباترا أن تصارع الطور الرومانى بذكاء ، فتحول من طور إلى كلب كانيش ، تحتضنه وتقبله فى بعض الأحيان ، ويمشى خلفها فى كل الأحيان ، وانتهى السير بمارك أنطونيو فى درب المهابيل إلى أن أصبح لا يساوى مارك قهوة ، صايع وضايع بعد الأمجاد !

وحفظت الملكة بلقيس كتاب الأم حواء وطبقت كل تعاليمه على سليمان الحكيم الذى أراد غزو ملكها .. فغزت قلبه ..

وعندما انتهت الملكة سميراميس من مذاكرة كتاب والدتها ،

رأت أن تجرب ما جاء فيه على زوجها الملك نينوس ، وفى ساعة غرام أوصلته جلالتها إلى حالة انعدام الوزن ، وهمست إليه برغبتها فى أن تجلس على العرش ، فقال لها بكل هبالة ، بس كده ؟؟ .. وبعد أن تنازل لها عن العرش ردت له الجميل ، وكان أن ذبحته لتريحه من قرف الدنيا .. !

ونفرتيتى .. وست الملك أخت الحاكم بأمر الله .. وملكات ، وأميرات ، ونساء عاديات يكررن القصة كل يوم والقصة واحدة دائماً ، نفس قصة الوالدة صاحبة لعبة التفاحة ، أو لعبة مصارعة الثيران ، أو لعبة الذكاء والعضلات ..

عزائى لكل طور وكل مهبول ، وتحياتى وإعجابى بذكاء مؤلفة درب المهابيل ، وبنات المؤلفة المخلصات لتعاليم الأم . باستثناء بنت واحدة من بناتها هى فتواية المدبح الأمريكية – صاحبة المذهب العضلى – فإنها أخيب وأعبط وأهبل من أنجبت حواء ! .





مسألة التفوق الذكائى للمرأة على الرجل ، مسألة مفروغ منها مهما كابر فيها الرجل وسفسط !

مثـلاً ..

يظل الشباب يسخر من الزواج ، حتى يجد نفسه – فجأة – مربوطاً من رجليه بحبل ، والطرف الآخر من الحبل فى يد المرأة ، والمرأة تسحله ، تجره على وشه إلى عش الزوجية السعيد ، وهذا السحل يتم عادة بدون ألم ، وذلك بفضل حقنة البنج أو حقنة الحب التى تحقنه بها قبل سحله !

فالمرأة تحرص كل الحرص على أن يتمم الشاب نصف دينه، وهى تحقق هذا بذكائها الداهم رغم كل جعجعة فارغة منه. كانت تهزأ بالزواج يساعدها على تحقيق هذا الهدف النبيل - إتمام الشاب لنصف دينه - عامل آخر مهم وهو أن الزواج مرض وراثى جميل يتوارثه الابن عن الأب عن الجد عن جد الجد.

غير أن الشاب قد يميل إلى الفرار من هذا المرض الوراثى مدفوعاً بغريزة الدفاع عن النفس أو غريزة حب البقاء، لكن غريزة أخرى تتغلب عليه فى النهاية هى غريزة حب الانقياد للمرأة، ومن الملاحظ أن غريزة حب الانقياد للمرأة تزداد قوة وفاعلية كلما تقدم الرجل فى السن حتى يصل إلى الدرجة التى ينهر فيها ابنه قائلا: ما بتسمعش كلام امك ليه يا ولد .. تكونش فاكر نفسك أحسن منى ؟.

كيف يصل الرجل إلى هذه الدوجة من الانقياد للمرأة ؟

الجواب : ذكاؤها الداهم ..

فالواقع أن المرأة هى صاحبة الفضل الأول فى تنمية غريزة حب الانقياد لها عند الرجل، وهى فى ذلك تبدأ مع الرجل خطة باهرة الذكاء، إذ تضع له - منذ شبابه المبكر المراهق - منهجاً تدريبياً لتعوده على الانقياد وراءها، فتلبس له المحزق لتراه يمشى خلفها بعيون مبحلقة، وتلبس له المينى جوب والميكروجوب فيسرع فى أعقابها بعيون أكثر بحلقة، فالمينى والميكرو والمحزق ليست جميعاً سوى أدوات ضرورية لتدريب الرجل على أن يمشى

دائماً فى الاتجاه الذى تسير هى فيه، وخلفها باستمرار كالتابع والسيد، وقد لا تلبس المحزق ولا المينى جوب ومع ذلك يمضى الرجل خلفها برضه، لماذا؟؟ لأن الطبيعة نفسها تخدم المرأة فى انقياد الرجل وراءها، فسيقان المرأة من الخلف أجمل منها من الأمام !

وحتى عندما ينضج الشاب ويصبح على رصيد من الاتزان والتهذيب الاجتماعى لا يجرى وراء مينى أو مكرو أو محزق، فإننا نجده فى هذه الحالة يدخل مرحلة أخرى فى الانقياد للمرأة، فهو فى تلك المرحلة يصبح (جنتلمان) يتقن فن الانحناء للمرأة ويحرص على أن تتقدمه ليتبعها، ذلك غالباً مكانه الحفلات والمجتمعات، ونلاحظ هنا أن المرأة تكون مرتدية فستان سواريه لا هو مينى ولا ميكروولا يكشف عن السيقان لأنه طويل وحشمة، لكنها لا تنسى أبداً - بذكائها - أن تقدم للرجل دائماً كل عوامل الترغيب ليمشى خلفها كالتابع، ولذلك فهى تجعل فستان السواريه عارى الظهر، فتنمى فى الرجل الجنتلمان غريزة جديدة إلى جوار غريزة حب الإنقياد إليها هى غريزة حب الظهور، الظهور النسائية طبعاً حتى يظل دائماً يتبعها كالمسحور وهو فى حالة سعادة.

ومن هذا التدريب الطويل على الانقياد خلف المرأة يتعلم الرجل الانقياد لها معنوياً، فرأيه يمشى خلف رأيها، لا لأن رأيها يلبس المينى جوب أو المحزق، ولكن لأنها تعرف كيف تقول رأيها ملفوفاً بذكاء فى ورق سلوفان وورق مفضض ومربوطاً بفيونكة

وردى .. هذا كله بالإضافة إلى أن الرجل مهيأ نفسياً لكى يتبعها فى أرائها بعد أن تعلم - منذ شبابه المبكر - أن يكون تابعاً يسير خلفها سواء كان صايع فى الشارع .. أو جنتلمان مجتمعات عنده غريزة حب الظهور العارية .

والشىء الغريب المجرد من أى إنصاف أن يقال أن الرجل بعد كذا سنة زواج يتقوس ظهره ويمشى مطأطأ الرأس ، وأعداء المرأة ينسبون هذا التغيير الفسيولوجى الذى يطرأ على جسم الزوج بأن سببه هموم الزواج ، والمتاعب التى شيبته منها الزوجة .

وهذا افتراء على المرأة ، فالرجل - بعد كذا سنة جواز - يتقوس ظهره ويصبح مطأطأ الرأس بسبب الاعتياد على المشى خلف المرأة ، فهو - منذ شبابه المبكر - لابد أن يطأطئ رأسه ليبحلق فى سيقانها ، أو فستانها المحزق ، ولما كان الرجل أطول قامة من المرأة فشىء طبيعى جداً أن يطأطئ رأسه - إن كان جنتلمان - ليبحلق فى ظهرها العارى ، ولا يمكن - عملا - أن يمشى رجل خلف امرأة مباشرة دون أن يطأطئ رأسه ليبحلق ، وشىء عادى جداً - بعد السنين الطويلة من المشى خلف المرأة - أن تحدث تلك التغيرات الفسيولوجية فى جسمه لإفراطه فى طأطأة رأسه لزوم البحلقة ، وأنا أعرف زوجة مسكينة لاتستطيع أن ترى وجه زوجها كاملاً إلا إذا جلست على الأرض وتطلعت إليه ، فرأسه ملقى فوق صدره على طول فى حالة طأطأة حادة ، ذلك لأنه كان أكبر خباص فى شبابه .



لا يعرف التاريخ اسم امرأة واحدة مرت بمراية دون أن تتوقف أمامها لتحييها بنظرة عين أو بالتفاتة من بعيد لبعيد .

فالمراية عند المرأة هى عين الرجل ، أو هى بروفة نهائية لعين الرجل وما ستراه ، وهى تتميز عن عين الرجل بأنها عين مؤدبة ومهذبة ولا تعرف قلة الحيا .

غير أن المرأة تفضل عين الرجل رغم كل شىء ، فعين الرجل مراية ناطقة تتكلم وتبدى الرأى فى الحسن والجمال ، وهو رأى مخلوط غالباً بالأكاذيب التى تثير ابتسامة المرأة ، فما حيلة المرأة

وقد كتب عليها أن تعاشر مخلوقاً كذاباً ، ليس لها طبعاً إلا أن تروض نفسها على الابتسام لأكاذيبه ، فهو يكذب أيام الخطوبة من باب الفشر وهو يكذب بعد الزواج من باب الخوف ، عند عودته إلى البيت . وهو يكذب وهو فى البيت قائلاً لها أحبك ، والمرأة تبتسم لأكاذيبه لا من باب الغفلة ولكن لأنها تعرف أن الأقوياء لا يكذبون ، فالكذب سلاح الضعفاء ، فهى القوية وهو الضعيف . ذلك عزاء لها لكى تبتسم دائماً أمام أكاذيبه .

ولأن المراية هى البروفة النهائية لعين الرجل ، فمن أجل هذه العين الفارغة تقضى المرأة نصف عمرها أمام المراية فى حصص رسم دقيقة ومضنية دون أى تقدير من جانب الرجل لهذه التضحية .

وفى الوقت الذى نرى فيه المرأة تهدر يومياً جانباً من عمرها فى التزين من أجل الرجل ، نرى الرجل يضيق بذلك المجهود المضنى الذى تبذله من أجله أمام المراية ويجد فيه مضيعة للوقت ، فمثلاً بينما كانت روكسانا زوجة الاسكندر الأكبر تجلس أمام مراية التواليت استعداداً للذهاب معه إلى المسرح ، كان الاسكندر ينتهز الفرصة ويستأذن منها خارجاً من مقدونيا كلها على رأس جيشه ليغزو بلاد الفرس ويرجع ليجدها تضع اللمسات الأخيرة فى زينتها للخروج معه إلى المسرح .

– لسه يا روكسانا ؟ ..

– دقيقة واحدة يا اسكندر .

– أوصل افتح الهند وارجع لك ؟

– لا مالوش لزوم .

هنا تضطر روكسانا إلى إنهاء اللمسات الأخيرة لزينتها أمام استعجال ذلك الرجل العصبى الذى يروح ويجىء فى الغرفة يطرقع أصابعه فى صبر نافد ، وما إن تنهض فى قمة فتنتها حتى يسرع الاسكندر نحو الباب تأهباً للخروج ، لكنها تظل واقفة أمام المرآة تدور حول نفسها فى نظرة أخيرة على شياكتها وهى تسأل الاسكندر :

– إيه رأيك ؟! ..

فيقول لها بكل جليطة دون أن ينظر إليها كويس : ياللا بقى ، فلا كلمة حلوة ولا تحية رقيقة لهذا المجهود الجبار من أجله ، بل إنه يبدو أكثر عصبية عندما تعيده من جوار الباب ليقفل لها سوستة الفستان .

بمثل هذه الجليطة يعامل كل اسكندر من الرجال زوجته ، ولهذا فالزوجة معذورة جداً إذا ثارت على واحد صايع فى الشارع قال لها يا قمر ، وهى فى الحقيقة لا تثور من باب الغضب وإنما من باب لفت النظر إلى المجهود الذى بذلته أمام المرآة قبل خروجها ، فهى بعد الجلسة الطويلة أمام المرآة لم تسمع من الأستاذ اسكندر – زوجها – ولا ربع كلمة ، فهى هنا فى الشارع تريد أن تقول إنها نهضت من أمام المرآة كقمر ١٤ وهذا الصايع السافل أكد لها أنها قمر ١٤ .. فأمسكوه !

ذلك يكشف بوضوح أن المرأة ستظل معذبة مادامت مضطرة للزواج من جنس لا يعاشر هو جنس الرجال ، فالعشرة هى الكلمة الحلوة ، التى تنطوى على الملاحظة الذكية واللفتة اللماحة ، لكن المصيبة الحقيقية أن الرجل عديم الملاحظة فيما يتعلق بالكثير من الشئون النسائية ، فلو أنك أخرجت رجلاً فجأة من حفلة أو مجتمع وسألته ماهو لون الفستان الذى ترتديه فلانة ، لوقف غالباً أمامك كطور الله فى برسيمه يحاول عبثاً أن يتذكر لون فستانها ، ذلك لأن الرجل – عموماً برضه – لا يعنيه الفستان بقدر ما تعنيه محتويات الفستان . فهو بطبيعته الحيوانية – والاعتراف بالحق فضيلة – يتعجب لماذا تنفق المرأة التكاليف الباهظة على الفساتين مع أنها أجمل مليون مرة من غير فستان !

فبين الرجل والفستان لون غريب من الخصومة ربما لأنه يرى فى الفستان جزءاً مهدراً ضائعاً من مرتبه وعرقه وشقاه ، جايز ، وربما لأن الفستان يحجب عنه ما يتوق إلى التطلع إليه . ومهما كانت الأسباب ، فالنتيجة أن تلك الخصومة تدفعه لا شعورياً إلى تجاهل الفستان على جسم المرأة ، تجاهل لونه ، تجاهل شكله ، فهو بالنسبة إليه جملة اعتراضية خارج الموضوع ، والدليل على ذلك أن التاريخ لا يعرف رجلاً واحداً اجتذبه منظر فستان فاضى فى فترينة ، إنه شىء لا معنى له عنده . قشرة موز فاضية . فالمهم الموزة نفسها .

وقد يكون الرجل الذئب هو أكبر عدو للفستان فهو لا يعترف

به حتى وهو على جسم المرأة إذ اعتاد مثل هذا الرجل أن يزود عينيه بأشعة إكس وهو يحلق فى المرأة ، وكما تتجاهل أشعة إكس جلد الإنسان ولحمه وتطردهما من الصورة ، فإن عيون الذئب تطرد الفستان من الصورة نهائياً ، ومع ذلك فإن الرجل الذئب يتظاهر بحب الفستان لأن الغرض مرض ، إذ يظل يهدى ضحيته فستانا فوق فستان أملاً فى أن تصبح أمامه بلا أى فستان ! ..

ذلك الكلام كله لم تقنع به زوجة صديقى فلان وأنا أحاول مصالحتها على فلان الذى فضحنا أمام الزوجات !

فهو من ذلك النوع عديم الملاحظة نهائياً رغم اجتهاده الشديد فى أن يكون قوى الملاحظة لينطق بالكلمة الحلوة فى الوقت المناسب !

فقد دخل البيت ليجد زوجته منكوشة الشعر أو شبه منكوشة الشعر ، فلما سألها لماذا لم تسرح شعرها ، كادت تلطم ، فقد كانت عائدة لحظتها من عند الكوافير بتسريحة جديدة « نجليجيه » يبدو فيها الشعر فى حالة فوضوية !

واعتذر لها فلان !

وفى المرة التالية دخلت من باب البيت عائدة من عند الكوافير فاستقبل تسريحتها بكمية مهولة من تحيات الإعجاب !

وكادت تلطم !

فقد كان شعرها ملفوفاً بالرولوهات وشكله عجر فى عجر

وكلاكيع فى كلاكيع ، إذ قالت يومها للكوافير إنها ستعود إلى البيت لتتناول الغداء مع زوجها على أن تعود إليه بعد الظهر ليسرح شعرها !

واعتذر فلان !

وفى المرة الثالثة عادت من عند الكوافير وفوق رأسها برج فى علو برج القاهرة ولا ينقصه إلا لمبة حمراء لتأمين سلامة الطيران ليلاً .

وكادت تلطم !

فقد تصور أن الكلاكيع المرتفعة فى برج شعرها هى رولوهات ملفوف عليها شعرها وعندئذ سألها متى ستعود إلى الكوافير ليسرح شعرها ، وقد عمد إلى ذلك السؤال ليؤكد لها أنه عارف أن شعرها ملفوف وموش كروديا زى المرة اللى فاتت !

وبالنسبة للفساتين مصيبة أكبر .

أبرز حادث أنه طلب منها أن ترتدى الفستان الرمادى وبلاش ده لأنه قديم ولونه زى الجربان ، وكان ذلك القديم الجربان قادماً لتوه من عند الخياطة ! .

ولأنه يحبها حقاً ، فهو يحاول أن يتعلم ، يحاول أن يكون قوى الملاحظة ، ولذلك كان سعيداً جداً وهو ينهال بالمديح على الفستان الجديد الذى كانت تفرده بين يديها ، واتضح أنه فستان قديم وجربان أخرجته لتعطيه للشغالة !

ويئس ! فقد فشل فى أن يتعلم !

وزوجة صديقى فلان غاضبة ، وهى لا تريد أن تصدق أن كل رجل هو صورة من زوجها وأن كل ما هنالك أن درجة الخيبة تتفاوت فى تذوق الفستان والتسريحة ، وأن آدم نفسه لا يمكن أن يعرف حتى هذه اللحظة – لو بعث من جديد – هل كانت حواء تضع ورقة توت أم ورقة عنب أم ورقة ملوخية !





فى برنامج إذاعى سألونى : .. وماهى عيوب المرأة الموظفة ؟؟ عيوب ؟؟ حاشا لله أن يكون لها عيوب ، فهى كموظفة أحسن من الرجل ستين ألف مرة ، وياريت تحتل الستات كل المكاتب والوظائف حتى نتخلص من الروتين ودوخة الروتين !

فالمرأة بطبيعتها تكره الروتين ، تكره الرتابة ، تكره الوتيرة الواحدة ، فهى فى كل مظاهر حياتها متجددة كالحياة نفسها ، بالنسبة للملبس مثلاً نراها تنتقل من لبس النيولوك إلى المحزق ومن المحزق إلى الشوال ، ومن الشوال إلى زكيبة ملام بومبادور ،

ومن مدام بومبادور إلى المينى جوب .. والعرض مستمر ، وكله جديد فى جديد ، وهى بالنسبة للتجميل تكسر الروتين التجميلى لتجدد للرجل باستمرار ، فهى تنتقل من كحلة ستى الحاجة إلى كحلة كليوباترا ، ومن الحاجب التخين إلى الحاجب الرفيع ، ومن الحاجب القصير إلى الحاجب المستطيل ، وبعد استنفاد جميع الأشكال الحواجبية ، جايز جداً أن تطالعنا المرأة – كسراً للروتين – بموضة الحاجب الواحد .

وإذا قارنا المرأة بالرجل فى مجال اللبس مثلاً وضحت لنا هواية الرجل للروتين بشكل بايخ وسخيف ولا معقول ، فلاأنا ولاأنت صادفنا رجلاً آخر شياكة يشرب الماء ثم يمسح فمه بكم الجاكتة ، ومع ذلك فهذا الرجل الشيك يضع ثلاثة أزرار فى كم الجاكتة وما هى حكاية هذه الأزرار ؟ حكايتها أن فردريك الأكبر ضاق بجنوده الذين كانوا يشربون البيرة ثم يمسحون أفواههم بكم الجاكتة ، فأمر بتركيب هذه الأزرار حتى تحتك بأنوفهم وبأفواههم فيقلعوا عن تلك العادة ، طيب وانت يابيه ياشيك حاطط الزراير فى كم الجاكتة ليه ؟ .. هو انت بتمسح بقك بكم الجاكتة؟ لا .. أمال مركبهم ليه ياأخ ؟ .. لاجواب إلا .. الروتين !

ثم الكرافته .. كانت بدايتها منديلاً ملوناً تلفه حول العنق أفراد فرقة حربية فرنسية . فلما انتصرت هذه الفرقة على الأتراك فى إقليم كراوات ، قلد رجال فرنسا أفراد الفرقة بلف هذا المنديل

حول العنق ، ومن كراوات أصبح اسمها كرافت ! .. ومايزال الرجل محتفظاً بتلك الزائدة الدودية القماشية مدلاة من عنقه من عصر لويس الرابع عشر إلى عصر الفضاء ..

ياصبره ! .. طيب وليه محتفظ بهذه الزائدة القماشية البلهاء ؟ تمجيداً للفرقة الفرنسية ؟ .. لأ طبعاً ، أمال ليه ؟ لا جواب إلا : الروتين !

كذلك مايزال ذلك المخلوق الروتينى العجيب يحتفظ بثنية البنطلون التى كانت حركة عفوية أتى بها الملك أدوارد السابع وهو يمشى فى أرض غمرتها الأمطار ، فانحنى رجال الحاشية يثنون البنطلون مثله ، وبعدها انحنى جميع ترزية العالم على مقاعدهم للقيام بهذه المهمة ، وكانت عروة الجاكتة حركة غرامية من الأمير ألبرت خطيب الملكة فيكتوريا ، إذ قدمت له الملكة وردة « فاستحرك » الواد وشرط الجاكتة بالموس ليضع وردة الحب الصافى !

لماذا يحتفظ الرجال بالعروة الوردية إلى يومنا هذا ؟ .. روتين .. روتين !

ومخلوق روتينى بهذا الشكل اللى يفلق ويعل هو أقرب إلى مجتمع النمل والنحل ، فهو نملة أو نحلة تعيش حياتها بحركات وتصرفات روتينية محفوظة ومتكررة من آلاف السنين ، وواضح جداً أن الرجل يعذب المرأة بنزعته الروتينية المميتة . فقطعاً لايمكن أن تكون النتيجة إلا التعذيب فى علاقة بين مخلوق ناعم رقيق مجدد

أقلع عن لبس فستان مارى أنطوانيت من يوم ما ماتت ، وبين مخلوق تقليدى العادات يخانق الترزى إذا لم يضع له فى كم الجاكتة أزرار عساكر فردريك الأكبر !

وشيء يزعل أن نعترف – نحن الرجال – بأننا مخلوقات نملية ونحلية ، وشيء ينبغى أن نتلمس من أجله ألف عذر وعذرا للزوجة الغلبانة إذا طقت من الغيظ لأنه لا جديد فى الحياة الزوجية ، فالأيام فيها متشابهة ، الأمس فيها مثل اليوم وغداً مثل الأمس ، والرجل هو السبب ، وشيء طبيعى بعد ذلك أن تطلق الزوجة أحياناً على زوجها ألقاباً سرية تتداولها بين صديقاتها مثل الكبة والهباب واللى ينخفى ، وهو كرم شديد من الزوجة أن تنفس عن غيظها بهذه الكلمات وبس ،فهى أكرم أخلاقاً من ملكة النحل التى تحتمل روتينية الدبور إلى أن يتزوجها فتلدغه ويموت فى ليلة الزفاف .. ناصحة طبعاً .

وفى الوقت الذى نرى فيه المرأة ميالة إلى التجديد وكسر الروتين وخلق انفعال البهجة بالجديد .. نرى الرجل الذى يخانق الترزى على زراير عساكر فردريك ، يضفى على البيت جموداً قاتلاً ، فهو نملة تكرر نفس التصرفات يومياً .. ويومياً أيضاً يردد نفس اللزم الملتصقة بلسانه ! فين الزفت القميص أو فين الزفت الشراب ، أو دى عيشة تقرف ، حتى إذا ما جالس زوجته أصيب بالخرس ، وحتى إذا نجا من حالة الخرس المنزلى بأعجوبة وكان زوجاً متكلماً فإننا نرى أن أحاديثه معادة ومكررة عن عمله وعن

مديره الحمار الذى لا يقدر عبقريته ، وهى سيرة حافظاها الزوجة صم ، الأمر الذى يسبب الانهيار العصبى كتلك الزوجة الانجليزية التى ضاقت بزوجها الروتينى ، فسارعت إلى المحكمة تطلب الطلاق لأنه أولا يقلب المعلقة فى فنجان الشاى – كل صباح – ٢٥ مرة بالضبط خلال قراءة الجريدة ودون أن يعد لأن المسألة أصبحت عنده روتين ، ثانياً لأنه بعد ذلك ينهض إلى الشماعة ويضع القبعة على رأسه ثم بعد ذلك يدخل غرفة النوم ويلقى نظرة على الكوميدينو لعله نسى شيئاً .. ثم يعود إلى الشماعة مرة أخرى ويأخذ البالطو ثم يخطو أربع خطوات فى اتجاه باب الشقة ويتوقف منادياً زوجته ليقبلها قبلة وصفتها بأنها آلية ، وبعد ذلك يخرج .

١٦ سنة على هذا الحال ، لم يحاول خلالها أن يكسر روتين هذه الحركات مرة واحدة ، لم يفكر يوماً أن يأخذ البالطو مع البرنيطة من الشماعة بل البرنيطة أولا ثم الكوميدينو ثم البالطو ثم الخطوات الأربع نحو الباب ثم البوسة الساقعة !

وحكاية هذه الزوجة الغلبانة تؤكد تمرد المرأة على الروتين والرتابة وميلها الغريزى إلى تجدد الحياة وخلق انفعال البهجة بالجديد ، وهى فى ظل الجمود الروتينى للزوج عاجزة تماماً عن إشباع نزعتها إلى الانفعال بالجديد ، ولذلك فهى مضطرة أحياناً إلى خلق الجديد الذى تنفعل به ، فتضع لزوجها السم فى الكفتة حتى تنفعل بهذه الحالة الجديدة إلى درجة الصويت ، وهى لأنها محرومة من أن تدلله مغازلة بكلمة حلوة بسبب تكشيرته المستمرة ،

فلا شك أنها فرصة سعيدة جداً أن تدلله ذات يوم غير روتينى قائلة : يا سبعى يا جملى !

ولقد عاش آدم وحواء سنوات طويلة فى الجنة قبل طردهما إلى الأرض ، ووفقاً لقاعدة هذا الشبل من ذاك الأسد ، فلا شك أن والدنا آدم كان على شاكلة أبنائه الرجال من حيث النزعة إلى الحياة الروتينية ، بعكس حواء التى ورثت بناتها كل طباعها ، والراجح أن حواء بذلت جهداً مضنياً مع آدم لتجدد الحياة معهم خارج نطاق سلوكه الممل المتكرر ، والأرجح أنها ضاقت بجمود الحياة معه ، وغالباً كانت تخانقه متبرمة وقد استبد بها الملل ، والأغلب أنه كان يشد شعره غيظاً لشكواها من الملل وهو يصرخ : يامدام انتى فى الجنة .. عايزة إيه تانى ؟!

ولكن آدم لم يكن يفهم وهو يشد شعره ويردد هذا المنطق !

صحيح أن حواء فى الجنة ، وصحيح أن كل زوجة تطمع فى أن يهيىء لها زوجها بيتاً كالجنة التى عاشت فيها حواء ، ولكن حتى فى هذه الجنة لابد أن تشبع حواء نزعتها إلى تجدد الحياة وكسر الروتين والانفعال بالجديد ، ولا جديد فى حياة الزوجية حتى فى الجنة والسبب آدم الذى عجزت روتينيته عن تلوين أيام الحياة ، فماذا تفعل حواء المسكينة ؟ هل تلجأ إلى الانفعال حزناً على بختها الأسود وأنها كان يجب أن تتزوج راجل يفهمها ؟ هذا غير ممكن . فلم يكن أمامها من الرجال غير آدم . هل تلجأ إلى الخناقات لكى تحقق لوناً من الانفعال الذى تتطلع إليه ؟ ولكن ماذا تقول له

فى تلك الخناقات ؟ هل تقول له روح شوفلك شغلانة بدل ما انت قاعد بوزك فى بوزى ليل نهار ؟ هذا غير ممكن أيضاً . هل تقول له أنه مش من عيلة وكان يمكن أن تتزوج واحد من عيلة فيحمد ربنا اللى رضيت به ؟ تبقى فشارة . فهى – مثل آدم – عديمة العيلة أيضاً .

إذن ماذا تملك غير أن تتبرم وتبدى الملل من غير إبداء أسباب .

وأخيراً وجدت حواء الحل لتلوين الحياة بالجديد ..

أوعزت إلى آدم بقطف التفاحة المحرمة ..

فلا شك أن قطف التفاحة – فى رأيها – ستتلوه نتائج مجهولة ولكنها – على أى حال – نتائج تحرك انفعالاتها الراكدة وتكسر رتابة الحياة مع آدم ..

وقطف آدم التفاحة وانطرد مع حواء إلى الأرض لتتكرر الرواية فى كل بيت – حتى ولو كان جنة – بأبطالها الثلاثة : الرجل .. والمرأة .. والملل !





إلى كل من يهمها الأمر : احترسى من الصيف !

فالصيف عدو الحب وعدو العشاق جميعاً ، فالعلاقة وثيقة بين الصيف والحب إذا اعتبرنا الحب لوناً من ألوان الجنون البدنجانى ، ذلك أن الصيف هو موسم الجنون البدنجانى بالنسبة للرجال ، إذ يصاب فيه الرجال -عموماً- بلوثة مؤقتة تضعف أو تشتد حسب تحرك المنخفضات الجوية ونشرة مصلحة الارصاد وارتفاع درجة الحرارة ، وتتجلى لنا تلك الحالة البدنجانى بصورة مكبرة عندما اجتاحت إيطاليا موجة حر جهنمية من نصف

سنوات ، إذ أصيب عدد من الرجال بالجنون الصريح الذى لاعلاج له إلا السراية الصفرا !

بينهم - مثلاً - ذلك الرجل الذى اضطرته الظروف للعودة إلى منزله فى ساعة متأخرة من الليل ، وحتى لايسىء إلى مشاعر زوجته بعودته فى الفجر . مشى على أطراف أصابعه حتى اقترب من الفراش ، وهنا بدأت الزوجة تتقلب وتوشك على الاستيقاظ ، فكان شعوراً لطيفاً منه أن يساعدها على مواصلة النوم حتى لايجرح إحساسها .. فخنقها فوراً !

فالصيف هو فصل الفراق والطلاق والهم والدم والانتقام بعد الغرام .

ما هو السبب ؟

السبب هو الحر الذى يؤثر فى مركز الانفعالات بالمخ فتزداد نسبة إفراز مادة السيروتونين البدنجانى ، وعندما يتجاوز إفراز هذه المادة الحد المعقول تبدأ المصايب .

ولذلك فالمرأة يجب أن تحسب حساب هذه المادة البدنجانية بدقة ، إذ عليها أن ترقب زوجها من بعيد لبعيد للوقوف على حالته المورستانية ، مع ملاحظة أن هذه الحالة تصبح فى أخطر أطوارها فى الأيام الأخيرة لموسم العمل وقبل القيام بالأجازة . ففى تلك الفترة الحرجة يعانى الرجل قمة الإرهاق العصبى ، ويتحول إلى إنسان رذل ، شديد الحساسية هوايته الخاصة الزعيق بسبب ومن

غير سبب ، فجاعورته تصبح أشبه بشكمان سيارة مكسور يصدر أصواتاً عالية هى فى حقيقتها صويت ناتج من زوائد احتراق جهازه العصبى .

والشىء الذى له العجب أن الأبحاث النفسية والعصبية أكدت أن الرجل فى هذه الفترة يتحول إلى إنسان فى منتهى الكرم ! منتهى الكرم إزاى وهو فى هذه الحالة المورستانى ؟؟ أنا شخصياً لاأعرف ، المسألة من أساسها بدنجان فى بدنجان ، ومع البدنجان يصعب دائماً استعمال العقل والمنطق . غير أن استغلال هذه الحالة الكرمية - بالنسبة للزوجة - مسألة غير مأمونة العواقب ، فالتعامل مع قنبلة زمنية - الزوج - أمر خطر ، ذلك أن المرأة قد اعتادت - قبل أن تقدم قائمة طلباتها إلى الزوج - أحد طريقين :

الأول : أن تعزف اللحن البكائى المميز لبرنامج ماتطلبه الزوجات ، فتبكى بطريقة موسيقية مؤثرة تحرك الحجر وتحرك محفظة الزوج أيضاً .

الثانى : أن تلجأ إلى أسلوب ربط الدماغ بكام كلمة حلوة من عينة يا حياتى وياعنيه وما يستتبع هذه الكلمات من حركات ناعمة معروفة .

فهل تصلح الطريقة الأولى مع زوج فى حالة البدنجان الصيفى ؟ طبعاً لأ ..

فالمؤكد أن الرجل فى هذه الحالة ليس على استعداد لأن يدادى ، بل هو فى حاجة إلى أن تداديه هى .

ولو لجأت للطريقة الثانية – ربط الدماغ – فماذا يمكن أن تسفر عنه هذه الطريقة ؟

طبعاً ستدخل على زوجها باسمة ، متزوقة ٢٤ قيراط ، وعلى لسانها كلمات سكر : يا روح قلبى يا عيونى ..

يا .. يا .. وبالطبع يستتبع هذا أن تطوقه بذراعيها وفقاً للقواعد التاريخية المعروفة بين آدم وحواء .

فماذا الذى سيحدث عندما تطوقه بذراعيها ؟

طبعاً سيترتب على التصاق ذراعيها به زيادة فى حرارة جسمه ، فيبدأ مخه فى إفراز المزيد من المادة البدنجانى ، وكلما طال حضنها له كان معنى ذلك : بدنجان أكثر فى دماغه ولك تصور الباقى .

ولكن بقى سؤال : هل يتساوى الدماغ الحريمى مع الدماغ الرجالى فى إفراز تلك المادة الانفعالية من المخ خلال الجو الحار ؟

يتساوى طبعاً دماغ المرأة بدماغ الرجل فى إفراز المادة البدنجانى ، ولكن النتيجة تختلف فى الدماغين ، لا بمعنى أن هنا البدنجان مخلل وهنا بدنجان محشى ، ولكن بمعنى أن دماغ المرأة فوق كل بدنجان ..

كيف ؟ ولماذا ؟

لأن جميع التجارب والاختبارات العلمية انتهت إلى أن أعصاب المرأة – باسم الله ما شاء الله – أشد متانة بمراحل من أعصاب الرجل ، وإذا كان الرجل قد اخترع كلمته المأثورة « إجمد وخليك راجل » ، فقد أثبتت الأبحاث – على مستوى الجامعات العالمية – أنها لا كلمة مأثورة ولا حاجة وأنها من اختراع غرور الرجل ، وأن الواجب تصحيح هذه العبارة إلى : اجمد يا راجل وخليك حرمة !

فلعل من المدهشات ما أسفر عنه استقراء التجارب من أن الأرملة التى تفقد زوجها بعد العشرة الطويلة تستطيع أن تواجه حياتها الجديدة – بظروفها العسيرة – فى ثبات واتزان وكفاءة عصبية عالية ، بعكس الرجل الأرمل فى مثل ظروفها ، إذ يصبح أشبه بطفل فقد أمه ، لايص ، عاجز عن التصرف فى كل ما كان يعتمد فيه على المرحومة ، وهكذا لا يعرف الرجل قيمة المرأة إلا بعد أن يرحمها الله بالبعد عنه وعن متاعبه إلى الأبد !

وقد أجريت تجربة على ألف موظف وموظفة فى جو نفسى غير ملائم شديد الحرارة ، وأسفرت التجربة عن تسجيل عشرات المناقشات الحادة المتوترة بين الرجال ، بينما كانت نسبة التوترات لا تكاد تذكر بين النساء .

وإذن فالمادة الانفعالية التى يفرزها المخ مع الجو الحار لا تغير من تصرفات المرأة ، فهى قادرة على ضبط أعصابها بالفطرة ، تماما

كما لو كان جهازها العصبى مزوداً بترانسفورمر أو محول كهربائى ، فهذا المحول يضع تيارها العصبى فى المعدل المطلوب ويحمى أعصابها من الاحتراق مهما زاد الفولت البدنجانى فى دماغها أو ارتفعت درجة الانفعال عندها ، فهذا المحول يحول أى زيادة فى التيار إلى دمعتين على خدودها .

وانتهينا .

ولأن الجهاز العصبى عند المرأة دائماً فى حالة جيدة ، فهى نادراً ما تصاب بالأمراض المتفشية بين الرجال والتى تدخل الانفعالات فى مسبباتها كأمراض القلب عموماً .

وبناء عليه ، فشىء طبيعى جداً أن يكون نزلاء السراية الصفرا فى جميع أنحاء العالم معظمهم من الرجال ، أو حسب الإحصاءات العالمية : بنسبة واحد إلى أربعة !

ثم ما قيمة المادة الانفعالية التى يفرزها المخ صيفاً إلى جوار المجهود العصبى الخرافى الذى تبذله المرأة فى الحمل والولادة ؟

إن الطبيعة لو خرجت عن قوانينها وصحا رجل من نومه يوماً ليجد بطنه منفوخة فى التاسع لأغمى عليه من منظر بطنه فقط ، ولو مشى يتمخطر بهذه البطن لرقع بالصوت الحيانى فى كل خطوة من عنف المجهود العصبى ، فما بالك – بعد ذلك – بالطلق ؟

بل إن هناك ملحوظة أخرى تكشف بوضوح عن أن خيوط

أعصاب المرأة أقوى بمراحل من خيوط شبكة صيد القرش .. ماذا يفعل الرجل – مثلاً – عندما يرتكب جريمة قتل ؟

أولاً ما إن يواجه الرجل عدوه حتى يلتهب جهازه العصبى وينتفض فيهجم على ضحيته ليطعنه فى عصبية مجنونة أو يخنقه بأصابع متشنجة أو يطلق عليه الرصاص بأعصاب مخبولة .

فماذا تفعل حواء الظريفة إذا نوت على هذه العملة السودة ؟

تراها – قبل أن تقتل – محتفظة بهدوئها تماماً أمام من تريد الانتقام منه ، محتفظة بابتسامتها وبراءة الأطفال فى عينيها ، تحايل ضحيتها فى رقة وتداديه فى نعومة حتى يتناول من يدها الكفتة المسمومة وفوقها بوسة !

فجريمة القتل بالسم تكاد تقتصر على النساء فى العالم كله لأن ضعف المرأة العضلى لا يتيح لها وسائل استعمال العنف ، ولكى تقدم السم إلى ضحيتها يجب طبعاً أن تكون ثابتة الأعصاب ، هادئة ، وباسمة ، وسكرة .

هل يستطيع رجل – أمام عدو ينوى قتله – أن يحتفظ بهذه الكمية الخرافية من الهدوء ؟؟

مستحيل طبعاً !





تطور العقل الأليكترونى من مرحلة القيام بعمليات الإحصاء والمراجعة والفرز إلى مرحلة جديدة يقوم فيها بالبصبصة، وكتابة الرسائل الغرامية ومغازلة الستات دون أن يقع تحت طائلة مكتب حماية الآداب !.

ففى قسم الأليكترونيات بجامعة ميامى صنع الطلبة عقلا أليكترونياً فى منتهى الهلس، يقول رأيه فى كل قبلة بين رجل وامرأة، هذه بوسة فاترة، وهذه تمام، وهذه كذب فى كذب، حتى أصدر مدير الجامعة قراراً بمنع استعمال هذا العقل المسخرة بعد أن انتشرت القبلات علناً فى فناء الجامعة ومعاملها بحجة تجربة هذا العقل لوجه العلم وحده !.

وفى جامعة أيوا الأمريكية عقل أليكترونى يقوم بوظيفة خالتى أم سعد الله الخاطبة ، فما على الطالب إلا أن يسأل عن أنسب زوجة له بين زميلاته فتجيب خالتى أم سعد الله الأليكترونية بأن أنسب زوجة هى فلانة الفلانية ، كما ترد على أى طالبة إن كان الطالب الفلانى الذى تسأل عنه هو عريس ابن حلال ، أو مش كويس ، أو مبذر وسفيه ، أو بخيل ، أو جدع طيب أو خبيث جداً .

وهناك عقل أليكترونى مهمته حل المشاكل والمعضلات ، وعقل آخر متخصص فى حل المشاكل العاطفية وتزويد المحبين بأحلى كلام فى الحب ، إذ يسأله العاشق مثلاً كيف يرقق قلب فتاته بعد الصدود فينصحه العقل بأن يهديها قزازة !

— قزازة بارفان ؟

— لأ قزازة زيت حر . .

غير أن تطور العقل الأليكترونى لم يقف عند هذا الحد ، فقد تمكن العلماء من صنع عقول أليكترونية تؤلف الكتب وتكتب المسرحيات وتنظم الشعر ، وفى مدينة بوردو بفرنسا قام العقل الأليكترونى بمهمة لجنة التحكيم فى مسابقة بين كتاب القصة ، وفى جامعة جلاسجو حار أستاذ اللاهوت فى تحقيق أربعة عشر مخطوطاً منسوبة إلى القديس بولس ، فقرر العقل الأليكترونى أن أربعة مخطوطات فقط هى الصحيحة والباقى مدسوسة ومزيفة !.

وفى جامعة كاليفورنيا قام دكتور ويدور أستاذ الألكترونيات بصنع إنسان ألكترونى بهلوان يقوم بألعاب السيرك ، وفى جامعة كورنيل تم صنع السكرتير الألكترونى الذى يفض الخطابات ويرد عليها ويلخص أهم ما فى الصحف للمدير ، ويدخل الزائرين ولا ينسى أن ينحنى بأدب ، ويختار ألفاظه الدبلوماسية وهو يعتذر للزائر الثقيل الذى لا يرغب المدير فى مقابلته ! . وفى معهد ماساشوستس الفنى تم تصنيع الخادم الألكترونى الذى يقوم بكل أعمال البيت ويأتمر بأي أمر تصدره ست البيت ! .

وهذا كلام كله حلو جداً يرسم لنا صورة رائعة لعالم الغد الذى سيمتلىء بالناس الألكترونيين فى البيت والغيط ، وكما تم صنع السكرتير الألكترونى والبهلوان الألكترونى ، فسوف يوجد فى المستقبل مخرجون ومطربون وممثلون ولعيبة كرة ألكترونيون ، فأسعد أخبار الغد إذن هى عودة خميس فجلة إلى شغلته القديمة : تومرجى ، يهبش من هذا نص ريال ، ومن ذلك نص فرنك ومن تلك نص فرخة ، وسوف تختفى المطربة فتكات رمش العين واخواتها ماركة شخلع ، وإذا كانت فتكات واخواتها يزعمن أن لهن جمهوراً وسميعة ، فلا بأس من صنع مطربة ألكترونية مزوقة كعرايس المولد تحل محلهن جميعاً ، لها فستان مدندش بالترتر والخرز وخرج النجف وباروكة منفوخة وزنها كيلو وارتفاعها كيلو ، وحواجب تلعب ألكترونياً ، وأكتاف ترقص شمال ويمين ،

وسط ألكترونى رقاص ، وطرب ألكترونى ماركة آه يا وله .. آه يا وله .

أما عن الكورة فسوف ترى فى الملعب ٢٢ لاعباً ألكترونياً ، ولن يكون بين اللعيبة لاعب واحد ينتمى إلى القبيلة الباراباطوزية التى ينتشر عدد كبير من أبنائها فى الملاعب ، وكل واحد منهم قد هد حيله سهر الليالى فى طلب التسالى ، وتقطعت أنفاسه من الهلس ومن الهباب ومن جوزة من الهند ومركب عليها غاب ! . وإذا كانت هذه هى الصورة الحلوة لبكرة ، فإن الوجه الآخر للصورة مش ولا بد ، بل هو قبيح جداً ومخيف أيضاً ، فإذا كان الإنسان هو صانع الإنسان الألكترونى ، فمن الغريب حقاً أن يصبح الإنسان الألكترونى هو أكثر ذكاء وقدرة ، ومن المدهش أن تصبح الآلة أذكى من الإنسان .

وقبل ذلك منح الإنسان الآلة قوة مادية خارقة تفوق قواه العقلية بمراحل ، واليوم يمنحها الذكاء والقدرة الذهنية المذهلة ، لتتسلط وتسيطر فى العصور القادمة ، فالإنسان الألكترونى هو الذى سيسود الحياة القادمة ، وهو الذى سيقتل كل ملكات التفكير عند البنى آدم ويحيله إلى إنسان عبيط رغم أنه خالقه وصانعه ، فلا شك أن إنسان العصر القادم سوف يركن مخه على الرف مادام قد وجد من يفكر له بشكل أذكى وأسرع ، ولن يعود فى حاجة إلى معاناة من أى لون ، والإنسان الألكترونى مسخر لخدمته ذهنياً وعضلياً ، وقد كان للإنسان ذيل يهش به

الحشرات والهوام عندما كان يمشى على أربع ، ثم انقرض الذيل بعد أن تمكن من استعمال اليدين لما انتصبت قامته ، كذلك كان الشعر يغطى جسمه كله ليقيه من البرد والحر ، ثم انقرض الشعر عندما عرف الملابس ، وسوف يقال إن الإنسان كان له مخ يفكر به ثم انقرضت فاعلية هذا المخ بعد أن اعتمد فى كل تفكيره على الإنسان الألكترونى ! . فعالم الغد هو عالم يسيطر عليه الإنسان الألكترونى فى كل مكان ، البيت والمصنع والحقل والمكتب والاستديو ، وسوف نكتفى نحن بالفرجة والتنبلة ، وليس بعيداً أن تنقلب الآية ، فلا أحد يتنبأ بما سيتطور إليه الإنسان الألكترونى فى العصور القادمة ، الأمر الذى يحتمل معه أن يجلس الإنسان الألكترونى واضعاً ساقاً على ساق وهو يدخن السيجار ، بينما نحن نمسح البلاط وندعك الحلل ونجر الكارو ، ويمشى وراء كل واحد منا فى الشارع عيال ألكترونيون يقولون العبيط أهه .

ولقد كان العقل الألكترونى – فى بداية اختراعه – يخطىء ويكرر الخطأ مرتين وعشر مرات ، ثم تطور وأصبح يستفيد من التجربة والخطأ بشكل مذهل حتى إنه لايكرر الخطأ الواحد مرتين ، ثم قطع شوطاً ثالثاً فى تطوره السريع فبلغ درجة عالية من الكفاءة العقلية بحيث أصبح لا يخطىء أبداً ! ..

فإذا كانت القدرات الفكرية للعقل الألكترونى فى نمو مطرد ، وإذا كان الإنسان الألكترونى قد وصل فى عصرنا هذا إلى مرحلة القدرة على كتابة الرسائل الغرامية والتغزل فى المرأة بأحلى

كلام ، فإن معنى هذا – ببساطة – أن رجال العصر القادم من أولاد آدم عليهم العوض !..

ففى الوقت الذى يكون فيه هؤلاء الرجال قد فقدوا كل ملكات التفكير وارتفعت درجة عباطتهم وغباوتهم إلى حد مخيف كنتيجة لعدم ممارسة التفكير .. فى هذا الوقت سوف تتحول البنات إلى حب الشبان الألكترونيين والزواج من الشبان الألكترونيين ! . وليس بعيداً أبداً أن تظهر الإعلانات الأمريكانى فى العصر القادم ، وفيها هذه العبارات :

– مصنع س. طومسون للألكترونيات يقدم إليك فتى أحلام ألكترونى من طراز أدونيس ١٩ (أدونيس هو إله الرجولة والوسامة عند الإغريق) .. أدونيس ١٩ مطيع ، مهذب ، يقول لك أحلى كلام فى الحب ، لا ينسى أن يقبلك فى الوقت المناسب . لا يعرف القبلات الروتينية التى يؤديها الأزواج البنى آدمين بقرف ، اجتماعى ممتاز ، يجيد الحديث الساحر فى حفلات الكوكتيل والسهرات ، أدونيس ١٩ باسم الوجه باستمرار ، يجيد جميع الرقصات ، يمتاز على أدونيس ١٨ بصوت عاطفى مثير يغنى لك أعذب أغانى الحب ، أدونيس ١٩ زوج مثالى ، يجيد القيام بكل أعمال البيت ، طباخ ماهر ممتاز ، أدونيس ١٩ يغنيك عن الكهربائى والسباك والنجار ، أدونيس ١٩ يصلح لك التليفزيون والراديو والبيك أب بمهارة مدهشة ، أدونيس ١٩ يسلك البلاعة ويصلح الحنفيات والسفونات ، أدونيس ١٩ هو عريس الأحلام

الذى تتمناه كل فتاة فى الدنيا ، أدونيس ١٩ لا يغضب ولا يثور إذا فقدت أعصابك ، أدونيس ١٩ يمتاز عن أدونيس ١٨ بأنه يحب حماته ويرحب بها فى حرارة صادقة . احجزى عريسك أدونيس ١٩ من الآن – الدوطة أو الثمن ألف دولار ! .

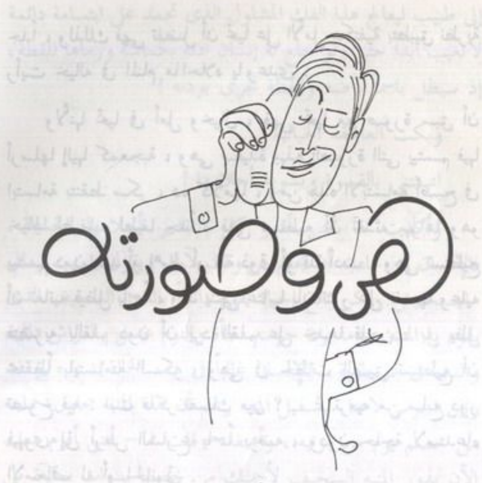
فشىء طبيعى أن تتحول إلى حب الشبان الألكترونى أدونيس ١٩ وغيره ، فهو فى منتهى الوسامة ، وكلامه فى الحب أحلى من العسل وهو لن يصاب بعد شهور من الزواج بعاهة الخرس المنزلى التى تصيب الزوج البنى آدم طول ماهو فى البيت ولا تنفك عقدة لسانه المخروس إلا إذا اكتشف أن زرار القميص مقطوع فيلعن أبو العيشة الزفت ، فعاهة الخرس المنزلى تشكو منها معظم الزوجات ، إذ تتمنى كل زوجة أن يتحول زوجها إلى راديو يقدم برامج منوعات وفوازير وما تطلبه الزوجات ، وأن يقول لها كل ربع ساعة أحبك يا وهيبة وأن ينبهر بشدة إذا رأى فستاناً جديداً لها أو تسريحة جديدة ، وأن يشيد بنصاحتها وذكائها فى استكراد بائع الروبابيكيا التى أعطت له كل بدل زوجها الصيفية لأنه لا يرتديها فى الشتاء .. وأخذت فى مقابلها شفشق وست كبايات ! .

ولكن الزوج الألكترونى أذكى من أن يصاب بعاهة الخرس المنزلى فهو يعرف أن هذه العاهة سوف تدفع الزوجة إلى أن تقول لصديقاتها : أنا زوجة سعيدة طول ما المدعوق مش فى البيت ، فهو من الذكاء بحيث يتجنب تغيير اسمه إلى ذلك الاسم البايخ : المدعوق . فالزوج الألكترونى سوف يجلس إلى جوار زوجته وقد

أحاطها بذراعه انشالله بعد عشر سنين جواز ، مقبلاً يدها كل ثانية ، وقبل أن تقول له سمعنى كلامك الحلو يا عبد الله ، يكون الأخ عبد الله الألكترونى قد انطلق فى كلام أحلى من العسل تسبل له هى الأجفان وتتنهد : قول كمان يا عبد الله ! مع ملاحظة أن ذكاءه الخارق لن يغفل أن المرأة تريد من الرجل أن يكون كساعة جامعة القاهرة ، عليه أن يدق كل ربع ساعة بكلمة أحبك ، فإذا ما شبعت من الكلام الذى هو أحلى من الشهد ، فإن عبد الله الألكترونى لن يسكت حتى ينفى عن نفسه شبهة الإصابة بعاهة الخرس المنزلى ، وهنا يغنى لها عبد الله الألكترونى بصوته العذب أغانى عاطفية دافئة ، فإذا ما انتهى من الغناء والرقص وشبعت الزوجة من تسلية وبرامج منوعات ، قالت له قوم اغسل الصحون أو قوم خدلك فم غسيل ، أو قوم قشر بامية ، أو قوم طرقع لى صوابعى ، أو قوم اتلهى ونام ، وهو فى كل فعل من هذه الأفعال ينفذه فوراً وحالاً وبسرعة !.

ومع ذلك فليس عجيباً ولا مدهشاً أن تصحب الزوجة عبد الله الألكترونى إلى الشركة التى أنتجته لتتركه هناك وتأخذ بدلاً منه عبد الله الألكترونى طراز ٢١ الجديد بعد أن زهقت من خلقة عبد الله طراز ٢٠ لأنه قاعد فى بوزها طول النهار.

□○□



الحب من طرف واحد أشبه بإنسان يمسك بسماعة تليفون وينزل كلام من غير ما يطلب أى نمرة ، أو يطلب نمرة مشغولة ، أو غير مشغولة ولكنها تضرب جرساً مستمراً بلا أى رد .

ولكن صاحبة المشكلة التى زارتنى اعتبرت كلامى هذا منتهى الكلام الفارغ ذلك أنها تؤمن بالقول المأثور : الحب من غير أمل أسمى معانى الغرام ، ذلك أنها تهيم حباً بفنان سينمائى رغم أنها فى سن ناضجة ، فلا هى بيبى ولا هى مراهقة ، وهى تحجم عن الاتصال به حتى لا يصدمها بصد أو إهمال ، فهو فى خيالها لطيف

جداً ، ولذلك فهى تفضل أن تحيا على الأمل مكتفية بتطبيق نظرية رأيت خياله فى المنام ماحلاه ياوعدى .

ولأنها تحيا فى أمل وخيال ، فهى تحيا مع صورة سبق أن أرسلها إليها كمعجبة ، وهى سعيدة بهذه الصورة التى يبتسم فيها ابتسامة بتنقط سكر ، ده كلامها ، ومن هذه الابتسامة أصبح فى خيالها لطيفا ، لطيفا جداً ، فهى تستطيع أن تحدثه بهواها وهو يبتسم دون صد أو إهمال أو قلة ذوق أو قلة أدب ، وهى تستطيع أن تعاتبه فيظل باسماً ، وقد ينتهى عتابها بأن تثور على نفسها وعليه فتضربه بالقلم دون أن يرد القلم على خدها قلمين ، بل يظل محتفظاً بابتسامته السكر ، وهى فى لحظات الضيق تستطيع أن تصرخ فيه : انت فاكر نفسك مين ؟ .. ثم ترميه من سابع دور فيهوى إلى أرض الشارع باسماً برضه ، ودون حاجة لاستدعاء الإسعاف له أو الحانوتى .

ولأنها عاشت مع هذه الابتسامة فهى تتصور أن هذه حقيقته وواقعه : رجل يبتسم على طول فى كل الأحوال والظروف ، لا يكشر ولا يغضب ولا يفقد أعصابه ، ولا ينطق بكلمة جارحة أو لفظ سخيف .. سوبر جنتلمان ! ..

وقلت للعاشقة الملتاعة لو أن حبوبها الفنان المعروف يبتسم كده على طول فى واقع حياته فمن المؤكد أن هذه مصيبة ، إذ معنى ذلك أن فكه قد تصلب على هذه الابتسامة وأصبح فى حاجة

إلى طبيب ليعالج هذا الفك المشلول الذى تجمد على ابتسامة دائمة لا تغيب أبداً حتى ولو خلع له إنسان أذنه بكماشة ورماها للقطة ، إذ سيظل باسماً برضه والقطة تجرى بودنه !

وبكت العاشقة الخيالية ..

اتهمتنى بالقسوة وتشويه أحلامها !

وأكدت لها أننى أقدر كل التقدير أحلامها الجميلة . فالإنسان من عاداته أن يحلم من وقت لآخر ويقول ياريت زمانى مايصحنيش. ولكن واقع الحياة يقوم دائماً بالدور السخيف الذى يقوم به المنبه عندما يرن جرسه فجأة والنوم عسل والفراش دافىء والدنيا فى عز طوبة ، فالإنسان غالباً فى هذه الحالة يمد يده ليوقف رنين الجرس لاعناً سنسفيل المنبه رغم أن هذا المنبه يحاول حمايته من خصم يوم من مرتبه ، وأعتقد – قلت لها – أننى أقوم معك الآن بدور المنبه السخيف لأحميك من خصم سنوات حلوة من عمرك ستضيع فى حب هذا البنى آدم !

واحتجت لأننى قلت عنه البنى آدم !

– متأسف .. ملاك ؟؟

– أكثر ..

– كان ؟

– مؤكد هو كده !

– ما شاء الله !

– تعرفه ؟

– طبعاً ..

– إيه رأيك فيه ؟؟

– بنى آدم كأى رجل ، له واقع أى رجل بوجع دماغه ووجع بطنه ووجع مفاصله ووجع محفظته –أحياناً– وهو عندك فى الصورة لابس بدله على طول ، مفتوح العينين على طول ، مسبسب الشعر على طول ، ولكن هذا الرجل فى الحقيقة ينام فى فراشه كأى رجل هده التعب ، منكوش الشعر مغمض العينين . مفتوح الفم أحياناً فى وصلة شخير .. وهذا الرجل ..

ولم تتركنى أكمل ، فقد صاحت بعصبية :

كفاية .. ثم أسرعت خارجة !

وهذه العاشقة – كل المتعلقات بالنجوم والمشاهير – واهمة ، ولا علاج لوهمها إلا أن تجرب الحقيقة بنفسها وتتزوج من الرجل المشهور الذى أحبته .. حتى تلطم الخدين !

فمن المؤكد أن هذا الرجل المشهور سوف يتساوى – بعد الزواج – بأى زوج مغمور ، ذلك الذى تطلق عليه زوجته بين صديقاتها اسم «الكبة» والآخر تطلق عليه زوجته اسم «الهباب» ، أو العكس ، ومن الكبة للهباب ياقلبى لا تحزن !

فالزواج فيه شفاء من كل حب ، وحتى لو قدر روميو وجولييت أن يتزوجا ، فإننى أعتقد أن الحوار الذى كان سيجرى فى عيد زواجهما الخامس هو ما يلى :

جوليا : مالك .. ساكت ليه ؟

روميو : أبداً .. اشربى : فى صحة عيد جوازنا الخامس ..

جوليا : فى صحة الذكرى السنوية الخامسة لحبنا .

روميو : حبنا بخير يا جوليا .

جوليا : ما تضحكش على نفسك .. ! يا خسارة ! كنت أفضل أن يتحدث التاريخ عن حبنا .

روميو : كنا ننتحر ؟

جوليا : والله كان أحسن من العيشة الهم دى ..

روميو : انت زهقتى منى للدرجة دى ؟

جوليا : افهمنى .. أنا حزينة على حبنا .. لن يروى التاريخ قصته للناس ..

روميو : إيه المانع .؟

جوليا : اتجوزنا خلاص .

روميو : وافرضى ..

جوليا : التاريخ لا يحتفظ إلا بقصص الحب التى تنتهى بالفراق والدموع والدفن فى القرافة

روميو : لكن الزواج أنقذنا من القرافة .

جوليا : كان من الأفضل أن ننتحر حتى يحتفظ التاريخ بحبنا ساخناً .

روميو : والزواج أيضاً ممكن أن يحتفظ بحبنا .

جوليا : مع الفارق .

روميو : أى فارق ؟

جوليا : التاريخ فرن يحتفظ بالعواطف ساخنة على صفحاته والزواج فريجيدير يحفظ الحب بطريقة التبريد .. ساقع يا روميو ..

روميو : حبنا سقع ؟ مستحيل أصدق .

جوليا : بذمتك انت بتحبنى زى أيام ما كنت بتتشعبط على بلكونتى ؟ يا سلام ! فين الأيام دى ؟

روميو : ما كبرنا يا جوليا على لعب العيال ده .. لكن ده ما يمنعش أن حبنا كبر معانا !

جوليا : فعلاً حبنا كبر فى السن .. طلع له شعر أبيض واسنانه بتقع وحركته قلت وبقى هباب ..

روميو : سرحتى فى إيه ؟

جوليا : فى أيام زمان .. يا ترى نقدر نرجعها ؟

روميو : كل شىء ممكن ..

جوليا : باين عليك بتخرف .

روميو : إيه المانع ؟

جوليا : بصراحة ؟؟ ناقصنا الشوق لبعض .

روميو : طيب اشتاق لى حد حايشك ؟

جوليا : خمس سنين فى خلقة بعض ليل ونهار وتقوللى اشتاق لى ؟ كل سنة وانت طيب .

روميو : وانتى طيبة .. (ثم صمت طويل) .

جوليا : مش فاهمة إيه اللى جرى لك .. بقيت تقعد مخروس .

روميو : ح اقول لك إيه بس .. هموم الدنيا كتير ..

جوليا : طيب قوللى كلمة حلوة فى عيد جوازنا .. فين الكلام اللى كنت بتقوله عن عيونى وسحر عيونى .

روميو : أبقى كداب لو قلته دلوقت وانت لسه حطه قطرة وقاعدة تبربشى .

جوليا : ماحدش خيب عنية غيرك .. كنت باسهر فى الفراندة علشان أقابلك .. وبعد ما اتجوزنا باسهر الليل بطوله بسبب تشخيرك ..

روميو : انت بقيتى مزعجة .. أنا عامل ذوق اكمن النهارده عيد جوازنا إنما الظاهر إن الذوق ما ينفعش معاكى ..

جوليا : اتلم يا روميو وخلى الليلة تعدى على خير ..

روميو : بلا قرف .. روحى رضعى الواد فيكتور .. بيعيط يالا ما تقلبيش دماغى ..

جوليا : يامه .. أخاف وأكش من ده الوش .

روميو : كلمة واحدة تانية ح اسيب لك البيت وامشى .

جوليا : أنا اللى سايبه البيت ورايحة لأمى ..

روميو : مع ألف سلامة .. شىء يقرف .

جوليا : ما قرف إلا عيشتك اللى نكد فى نكد ..

(زعيق . جيران يتدخلون . جوليا تخرج على بيت أمها ..)

○□○

عندك منظر آخر – فى تصورك – غير ده ؟





هو – مساء الخير .

هى – مساء الخير ..

هو – الآنسة زيزى ؟؟

هى – أنا يافندم .. نعم ؟

هو – أعرف انك على وشك الخروج ، ولهذا فمن السخف أن أرجو السماح لى بالدخول ..

هى – ... فعلاً أنا خارجة .

هو – لتقابلى خطيبك محمود . أعرف ذلك .

هى – كيف عرفت ؟

هو – .. على أى حال سيدق التليفون بعد دقيقة ليعتذر محمود عن لقائك . لقد كلفه رئيسه بالسفر إلى الاسكندرية لمهمة عاجلة .

هى – هل عهد إليك محمود بأن تبلغنى بذلك .. ؟ انت صاحبه ؟

هو – أنا لا صاحبه ولا عمرى شفته .

هى – إذن كيف عرفت هذا كله ؟

هو – .. كل ما فى الأمر أننى أعرف فى الغيب ، وقد جئت لأحذرك .

هى – تعرف الغيب وجئت لتحذرنى ؟؟ من إيه ؟؟

هو – لا أعتقد أن الوقوف بالباب مناسب للحديث فى هذا الموضوع ..

هى – الظاهر إنك نصاب ودجال .. انجر من هنا قبل أن أستدعى البوليس .

هو – (وهى تصفق الباب) .. شكراً ..

هى – (تجرى لاهثة) .. أستاذ .. يا أستاذ ..

هو – (يتوقف .. أنت ؟)

هى – لقد تكلم محمود فعلاً واعتذر عن الموعد لسفره فجأة إلى الاسكندرية تماماً كما قلت .

هو – .. شكراً لثقتك بكلامى .

هى – ولكن من أنت .. ومم تريد أن تحذرنى ؟

هو – لست أرى الطريق مكاناً مناسباً للحديث ، ولا تظنى أننى أقترح العودة إلى بيتك ، فليس من اللائق أن يغلق باب البيت على فتاة وشاب غريب بمفردهما .

هى – إذن فأنت تعرف أننى كنت وحدى فى البيت ؟

هو – أعرف ، فإن والدتك فى زيارة خالتك ولن تعود قبل التاسعة ..

هى – شىء مخيف ! .. إن ماتقوله صحيح .

هو – شكراً لثقتك بكلامى ، والآن أعرض عليك اقتراحاً بأن نجلس فى محل هادىء لبحث هذا الموضوع ، ولك أن ترفضى اقتراحى أو تقبليه ..

هى – لا مانع .. هيا إلى كازينو النيل .

هو – أرجو أن تختارى مكاناً آخر ..

هى – لماذا ؟

هو – سيأتى علينا هناك (حسين) شقيق خطيبك محمود ومعه حبيبته ..

هى – ولكن حسين متزوج ..

هو – هذا لا يهم ، فإننى لا أريد أن أحرجك أمامه وأنت جالسة معى فى ذلك المحل الهادىء .

هى – غريب ! حسين يخون زوجته ؟؟

هو – ليست هذه قضيتنا . اقترحى مكاناً آخر أرجوك .

هى – ما رأيك فى كازينو النزهة ؟

هو – هذا حسن.

○□○

هى – تستطيع الآن أن تخبرنى بكل شىء .

هو – آنستى العزيزة ، مصيبة حياتى أننى أعرف الغيب .

هى – .. هذا واضح .. أرجو أن تدخل فى الموضوع .. مم تريد أن تحذرنى .. ؟؟

هو – أنت لم ترينى من قبل ولا أنا كذلك رأيتك .

هى – .. ادخل فى الموضوع من فضلك .

هو – والموضوع باختصار أننى أنا الرجل الذى سوف تقعين فى حبه بعد ثمانية شهور وستة أيام وثلاث ساعات و ٣٤ دقيقة !

هى – ....

هو – أراك مندهشة ؟

هى – هذا مستحيل .

هو – هذا ما سيحدث بالفعل . ولا شك أننى إنسان حسن الحظ ، فأنت جميلة ورقيقة ورائعة .

هى – ولكننى أحب محمود . أعبده . وهو أيضاً يحبنى . يعبدنى ..

هو – لا شأن لى بذلك الآن . إننى أحدثك عن المستقبل .

هى – تعنى أننى سأفترق عن محمود ؟ . .

هو – أعنى أننى سأكون معبودك الأوحد ! .

هى – هل يمكن أن أتكلم بصراحة ؟ .

هو – بكل سرور .

هى – أولاً لست أنت من طراز الرجال الذى يستهوينى .. فأنت – ولا مؤاخذة – أفطس الأنف وأنا أحب فى الرجل الأنف الرومانى ثم أنك بشلاضيم وأنا أكره الرجل أبو شلاضيم .. هذا بالإضافة إلى أنك من غير شنب وأنا لا يمكن أن يلفت نظرى أى شاب حالق شنبه ..

هو – هذا رأيك الآن .. وهو نفس رأيى فيك ، صحيح إنك جميلة ولكنك لست من الطراز الذى يجتذبنى ، فأولاً صوتك هذا يثير أعصابى فإننى لا أضيق إلا بمثل هذا الصوت ولو كان لملكة جمال ، حيث تبدو المرأة وكأنها مركبة فى زورها زمارة أراجوز ..

هى – انت قليل الأدب ..

هو – لا اعتراض لى على هذه الملاحظة من جانبك ، فمادمنا نبحث الموقف بمنتهى الصراحة ، فلا غنى لنا عن قلة الأدب .. ذلك أن المصارحة وقلة الأدب متلازمتان كالكباب والكفتة ..

هى – إذن فلأكون أكثر صراحة وأقول لك إننى أقرف جداً

من الرجل الذى يستعمل منديله كثيراً فأنت إنسان مقرف ، ولا أعتقد أننى سأحب واحد مقرف مثلك ولو لم يبق فى العالم غيرك من الرجال ..

هو – يسعدنى إبداء هذه الملاحظات المفيدة ، رغم أننى لا أتوقع أن أتخلى عن المنديل لكى أرضيك ، فسوف تحبيننى حباً خرافياً رغم هذا المنديل .. من جانب آخر ، أود أن أقول لك ملحوظة مقابلة وهى أننى لا يمكن أن أصدق أننى سأحب ذات يوم فتاة ..

هى – (مقاطعة) من غير قلة أدب ..

هو – سأحاول أن تكون ألفاظى ملفوفة بورق مفضض .. إن شعرك هذا يا آنستى – فى سبيل الاحتفاظ بالتسريحة – لا يمكن أن يكون شعر بنى آدمة ، بل هو شعر قنفد لا يعرف الماء ولا الصابون ولابد أن أشفق على أنفى منه ! .

هى – اخرس قطع لسانك .

هو – ولا بأس من سعة الصدر أمام قلة أدبك فى سبيل بحث الموقف .. والآن أؤكد لك أن العبارة التى ستنطقين بها رداً على كلامى هى :

– هل تتصور أيها السافل أننى سأفترق يوماً عن محمود لأحبك أنت . ومحمود ضفره برقبتك ..

هى – ....

هو – أراك مبهوته .

هى – فعلاً هذا ماكنت سأنطق به .

هو – شكراً على ثقتك بكلامى .

هى – لقد أصبحت أخشى أن يكون ما تقوله صحيحاً .. أنا سأحبك وأعبدك أيها الجربوع ؟؟ .

هو – هذا ما سيحدث فعلاً .. هل لى أن أرجوك بمنتهى الأدب ألا تميلى برأسك هكذا نحو أنفى . هذا شىء فظيع .

هى – لم أر عمرى رجلاً فى وقاحتك .

هو – ومع ذلك سأكون معبودك الأوحد .

هى – مستحيل .. انت كذاب .

هو – الآن ستنهضين غاضبة وتقولين : سفوخس ..

هى – (وهى تنهض) .. هذا ما كنت سأفعله فعلاً .. أنت رجل مخيف ! .

هو – إذن يستحسن أن تجلسى لنواصل بحث الموقف .

هى – (وهى تجلس) .. هل يمكن أن أسألك كيف يرتبط اثنان ارتباطاً عاطفياً وهذه نظرة كل منهما للآخر ؟ ..

هو – تلك ليست مشكلة ، فعندما يأتى الحب ، فإنه لا يأتى أبداً بمفرده ، إنه يأتى دائماً ومعه قطع اكسسوار فيضع على عينى مثلاً نظارة ملونة أراك بها أجمل خلق الله ، ويضع على أذنى سماعة

أسمع بها صوتك الأراجوزى وكأنه سيمفونية رائعة ، ويضع على أنفى كمامة يمكننى معها أن أحتضن رأسك بين يدى لأشم بهذه الكمامة شعرك المقنفد وكأنه أشد العطور سحراً ..

هى – وأنفك الأفطس ؟ وشلاضيمك ؟ وشنبك الضائع ..

هو – نظارة الحب على عينك ستتكفل بكل شىء .

هى – ومنديلك يا مقرف ؟ ..

هو – سوف تكون أسعد لحظات حياتك عندما تقفين لتغسليه بيديك ! ..

هى – بس .. جتك قرف .

هو – لا بأس .. فلننتقل الآن إلى الأهم وهو التحذير .

هى – مم تريد أن تحذرنى ؟ ..

هو – طبعاً أنا لا أشعر نحوك الآن بأى إحساس .. وشىء طبيعى ألا أغار عليك ، ولكنك فى وقت ما ستكونين الحب الذى يملأ كيانى .. وسوف أجن غيرة عليك ، فليس من المنطقى أن تستمر الأمور مع محمود على ما هى عليه ..

هى – أى أمور ؟..

هو – يعتصرك بين ذراعيه ويلتهم شفتيك كلما وجد فرصة سانحة لذلك ..

هى – ولكنه خطيبى ..

هو – أعرف ذلك ، وأرجو أن تقدرى إحساسى وأنا أرى الفتاة التى سأرتبط بها غارقة فى أحضان شاب آخر ولمدة ثلاثة شهور قادمة .

هى – تعنى أننى سأفترق عن محمود بعد ثلاثة شهور ؟

هو – لا يعنينى افتراقك عنه بقدر ما يعنينى أن تحرصى على ألا تمنحيه حضناً أو شفتين ، خصوصاً بعد غد .

هى – بعد غد ؟؟ ..

هو – سيصحبك فى سيارته إلى طريق الهرم وسوف تتكومين فى حضنه كما تفعلين كل مرة ، وبعد غد سوف تزداد يده نشاطاً وذلك ما أرفضه ! .

هى – ......

هو – لماذا أنت مندهشة ؟

هى – كأنك كنت معنا فى السيارة . هذا مخيف .. مخيف !

هو – إننى أحذرك حتى لا تحدث مضاعفات تعقد الأمور عندما نرتبط ببعضنا . إلى اللقاء ..

هى – أستاذ .. يا أستاذ ..

هو – أراك بعد ثمانية شهور ..

○□○



بعد ثمانية شهور :

هى – رجعونى عينيك لأيامى اللى راحوا .. علمونى اندم على الماضى وجراحه ، واللى شفته قبل ماتشوفك عنيه .. عمر ضايع يحسبوه ازاى على ؟ ..

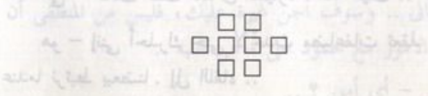
هو – (يدس وجهه فى شعرها) باحبك .. باحبك .. ياريت زمانى مايصحنيش .. مايصحنيش .. مايصحنيش .

بعد خمس سنوات :

هو – (يصفعها) .

هى – عملت لك إيه دلوقت .. دى مابقتش عيشة .

هو – صديقتك سميرة ستحدثك بالتليفون بعد قليل وسوف تقولين لها : كلمينى لما يخرج (الهباب) من البيت .. أنا هباب ؟؟



هى ومشاكله

لا أعتقد أن هناك شخصاً يصلح للقيام بمهمة قاضى الغرام أو مفتى العواطف أو الخبير الاستشارى فى شئون الحب والهوى !

فكل إنسان – يطلب فتوى غرامية – مختلف تماماً عن الآخر فى تكوينه النفسى والفكرى ، تماماً كاختلاف بصمة أصبع عن أصبع ، فبصمة الإنسان لاتتكرر أبداً مهما تعددت الأصابع بملايين الملايين !

وبناء عليه ، فالتصرف الذى قد يشير به خبير الغرام على روميو قد يجدى فعلاً فى إعادة ليالى الوصال مع جوليا ، بينما نفس

هذا التصرف قد يجد استجابة مختلفة عند جوليا أخرى تدفعها لأن تقول لروميو سفوخس .. وقطيعة تقطع اليوم اللى عرفتك فيه ، ذلك لأن لكل جوليا شخصيتها وتفكيرها ورؤيتها ، كذلك روميو ، فإن تصرفاً من جوليا قد يدفع روميو إلى الركوع تحت قدميها هاتفاً إن شاالله إن شاالله ما اعدمك.بينما نفس هذا التصرف قد يدفع روميو آخر إلى ضربها قلمين صارخاً : أصون كرامتى من قبل حبى .

ثم ما الذى يفعله بالضبط مستشار الغرام ؟

انه يتجر فى روبابيكيا قديمة اسمها النصايح وهى نصايح تنبع دائماً من العقل الزينة البعيد عن جنون الحب وناره القايده ، ومادام اللى إيده فى الميه مش زى اللى إيده فى النار ، فلا جدوى من أى كلام صادر من واحد إيده فى المية لواحد جسمه كله فى النار ، إذ نرى روميو يحترق ورائحة الشياط تفوح من أعصابه وقلبه فيهرع إلى رجل المطافى الذى هو مفتى الغرام مستغيثاً : نار ياحبيبى نار ، فإذا بمفتى الغرام يقول له فى هدوء شديد : اعقل يا ابنى !

بالذمة ده كلام ؟؟

كيف يمكن أن نطلب من عاشق ملتاع أن يعقل والحب نفسه جنون ، أظرف وألطف أنواع الجنون ، بل أن أجمل ما فى الحب هو حماقاته المجنونة وهبله وعباطته وتجرده من العقل والمنطق

فالعقل إذا تدخل فى الحب أفسده وضيعه ، والدليل على ذلك أن الأزواج والزوجات يتبادلون الحب بمنتهى العقل الزينة .

ولا شك أنه مشهد مضحك أن يجلس مفتى الغرام هادئاً رزيناً وكأنه أوتى حكمة لقمان ، بينما جوليا أمامه دموعها على الخدود تردد : عايزه أنساه أنا عايزه أنساه ، فلا تتمخض حكمته – بعد طول صمت – إلا عن العبارة الشهيرة التى تآكلت من فرط الاستعمال :

– الزمن كفيل بكل شىء .

هى :

– قلبى مجروح يا مفتى الغرام .

– الزمن مرهم لكل الجروح .

هى :

– كيف أنساه وقلبى لم يزل يسكن جنبى ؟

– الزمن مفعوله أكيد .

.. وهذا الحوار بين جوليا وطبيب الغرام المداوى قد يصلح لمشهد من فيلم مؤثر من إخراج خميس فجلة ، ولكنه بالتأكيد لا يصلح لعلاج واحدة تولول من حالة التهاب عاطفى حاد .

ورغم عدم جدية هذا العلاج الفارغ فإن (الزمن) يعتبر أشهر الأدوية والمضادات الحيوية للحب فى روشتات أطباء الغرام

مع أن الزمن –كدواء– لا يفترق عن محلول الحديد والزرنيخ الذى يكتبونه لمرضى العيادات الخارجية سواء كان المريض عنده مغص كلوى أو كانت عينه وارمه ، وكما لا ينفع الحديد والزرنيخ ولا يشفع مع المغص الكلوى ، كذلك لا يجدى دواء (الزمن) فى حالة الالتهاب العاطفى .

والنتيجة ؟؟

تنصرف جوليا –كما أتت– مرددة مع الدموع نشيدها المفضل : تلاوعنى برضه أحبك .. تهجرنى برضه أحبك .

وأحياناً أجد نفسى –رغم أنفى– جالساً بالإكراه على الكرسى الذى لا أرتاح أبداً إلى الجلوس عليه : كرسى مفتى الغرام ، وأمامى واحدة تطلب نسيان الحبيب القاسى .

طيب وأنا ذنبى إيه ؟؟؟

إنها تكلفنى بأن آتى لها فوراً بلبن العصفور ، أى بنسيان حبيبها فوراً .

ازاى .. ؟؟؟

وأجلس أمامها حيران ودموعها تسح . طبعاً من السخف أن أصف لها (الزمن) دواء شافياً ، والأسخف أن أقول لها انت العليل وأنا الطبيب والصبر ده أحسن دوا . فالصبر هو نفس الدواء : الزمن .

وتشتد حيرتى مع دموعها ، فإننى لا أطيق أن أرى إنساناً يتألم أمامى ..

– ما ترجعى له .. ؟؟

– نعم .. ؟؟

– هناك عبارة مأثورة تقول : ما أحلى الرجوع إليه .. إليه ..

– مستحيل ..

– ليه ؟

– كرامتى ما تسمحش .

.. طيب أقول لها إيه ؟؟

من الواضح أنها أصبحت فى حاجة إلى ملاية سرير لتجفيف دموعها . ماذا أقول لها ؟؟ هل أقول لها شدى حيلك يا أختى ؟؟

هذا عزاء ساذج طبعاً ولا معنى له . فإن آلامها أكبر بمراحل من أى كلمة عزاء . إن أى واحدة تفترق عن حبيبها تتصور أن هذه هى نهاية العالم ، فما هى الكلمات المناسبة التى يمكن أن أقولها لواحدة تعيش فى لحظات يوم القيامة ؟ شىء صعب أن يكون مطلوبا منى أن أقول لها شيئاً بعد أن وضعتنى رغم أنفى على كرسى مفتى الغرام .

وقد خيل إلى أكثر من مرة فى مثل هذا الموقف أن التصرف المثالى هو أن أخرج منديلى لأبكى معها ، فطبقاً لقاعدة : تسكت دموع المرأة عندما تحقق هدفها بإسقاط دموع الرجل ، فسوف تتوقف عن هذا البكاء الذى يحرق أعصابى ، وسوف تحاول أن تسكتنى فلا أسكت ، بل أتساءل فى حزن عصبى وأنا أتخبط

المكتب بيدى : ازاى يعمل كده الخاين ؟؟ ازاى ؟؟ هنا ستقول هى أيوه قول .. خاين وغدار ياميلة بختى ، وتبكى وأبكى ، وتفشل كل محاولاتها لإسكاتى ، عندئذ أكون قد حققت دورى الإنسانى كمفتى غرام ، فليس مطلوباً منى إلا أن أملأ صدرها بالراحة . ومؤكد أنها سوف تشعر براحة النفس وقد وجدت من يشاطرها دموع العذاب ولا شك أننى سوف أعتبر نفسى مفتى غرام مثاليا إذا انصرفت من عندى لتتصل بى فى التليفون فور وصولها البيت لتسألنى انت كويس دلوقت ، ولكنها تفاجأ بأننى ما أزال أبكى مأساتها ، فتقول لى :

– شد حيلك أمال .. مش كده .

ذلك جانب لا يشجع على القيام بهذه المهمة الإنسانية ، ومن جانب آخر فإن العشاق يخفون الحقائق أحياناً لاعتبارات تتعلق بالكرامة والكبرياء ، كذلك الشاب الذى زارنى يوماً ليشرح لى الخلاف البسيط الذى قام بينه وبين خطيبته ، وهو خلاف بسيط فعلاً ، فهو يريد إقامة الفرح فى نادى بنك مصر ، بينما هى تريد فسخ الخطوبة لأنها بتحب واحد تانى .

ولمدة نصف ساعة ظللت أستمع إليه وهو يتكلم فى إصرار وكبرياء كيف أن كلمته لازم تمشى ولازم الفرح يقام فى نادى بنك مصر لا فى أى مكان آخر !

يضاف إلى هذا كله أن صاحب المشكلة العاطفية – فى العادة –

لا يلجأ إلى استشارة أحد فى مشكلته قبل أن يكون قد استقر على قرار بشأنها وانتوى تنفيذ هذا القرار فعلاً . فهو لا يتوجه بمشكلته إلى إنسان إلا أملا فى أن يشجعه هذا الإنسان على تنفيذ القرار الذى اتخذه فعلاً ، فهناك روميو الذى أحب جوليا المتمردة على سلطانه ، فكل أوامره إليها لا تحظى إلا بكلمة طظ ، وكل تهديد منه لا يلقى إلا ضحكة تسم بدنه ، فهو الذى يحب أكثر ، وبناء عليه فهو الطرف الأضعف ومثل هذا الروميو لا يجد فى النهاية بداً من التسليم بسلطانها عليه.لكنه مع ذلك يلجأ لإنسان ليستشيره وهو فى قرارة نفسه يتمنى أن يقول له هذا الإنسان :

– اترك الجفا وطاطى القفا !

ما جدوى الكلام مع مثل هذا الروميو غير تضييع الوقت !!

أليست هذه أسباباً وجيهة لأصحاب بعض الرسائل الذين يطلبون منى الجلوس على كرسى مفتى الغرام والفصل فى قضاياهم الغرامية على وجه السرعة .

وبين هذه الرسائل رسالة من روميو كانت جوليا تغنى معه فى الأيام الخوالى : كان عهدى عهدك فى الهوى ، يانعيش سوا يانموت سوا . ولكنها خانت العهد وارتضت الخطوبة لواحد تانى . وهو يعبر فى رسالته عن احتقاره وكراهيته لها وإهماله لشأنها ، ثم يسألنى كيف ينتقم لخيانتها .

ماذا أقول للأخ روميو وهو لا يزال يحبها موت ؟؟

بماذا تجدى كلماتى له ؟؟

صحيح أنه يؤكد احتقاره وكراهيته لها ، لكنه لا يعرف أن الحب غاوى كرنفالات ، فالحب عندما يكون فى حالة غضب يرتدى قناع الكراهية والاحتقار والرغبة فى الانتقام ، فكراهية جولياهى حب مقنع ، والرغبة فى الانتقام منها هى منتهى الحب . وقد قتل عطيل ديدمونة ثم همس بمشاعر العاشق الممزق : فليرحمك الله ، كان يعبدها ، صحيح أنه حب مهبب ، لو كان قد شفى من حبها لتركها تمضى بلا اكتراث ، فالإنسان الذى يشفى من الحب يلتقى عادة بحبيبته سابقا وفى صدره مشاعر لا لون لها ولا طعم ولا رائحة . مشاعر بهتانة لا تحمل حباً ولا كراهية ، ولا احتقاراً ولا أى حاجة أبداً .

وهذا يذكرنى ببعض أغانينا ، وهى أغانى تتحدث بألسنة عشاق شفاهم الله من الحب ووقفوا يطلعوا لسانهم للأحبة السابقين ، كتلك الأغنية التى تقول بلسان عاشق جدع : لأموش أنا اللى أبكى .

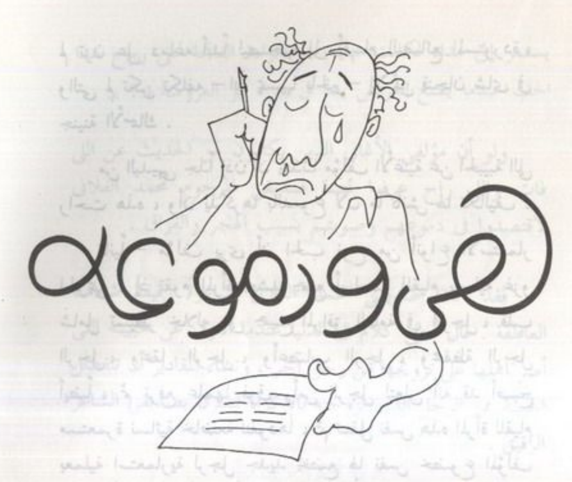
طيب ولما انت خلاص موش اللى تبكى ، ولا انت اللى همك حاجة ، واقف تكلم محبوبتك سابقاً ليه؟ واضح طبعاً إن مجرد كلامه مسألة تماحيك .

وأغنية أخرى على لسان عاشق تقول : لسه فاكر قلبى يديلك أمان ولا فاكر كلمة ح تعيد اللى كان .. كان زمان كان زمان ..

ولا أدرى لماذا يضيع هذا العاشق الذى تتحدث بلسانه الأغنية وقته ويقول هذ الكلام الذى لا تسمح به أى مشاعر بهتانة شفى صاحبها من الحب ، فلا تفسير إذن لموقف مثل هذا العاشق إلا أنه واقف يتمحك وعايز يعيد فعلا اللى كان .

نصيحة أخيرة لأصحاب المشاكل العاطفية الذين يبحثون عن الشفاء من الحب .. تزوجوا على بركة الله .. تتخلصوا من كل حب .. ففى الزواج ٣٧ ميزة سأحدثكم عنها عندما يتم اكتشافها ؟





الحب يشيع فى كل الأغانى ، وهذا شىء طبيعى ، إنما الشىء غير الطبيعى أن تدور معظم أغانى الحب عندنا حول الحبيب اللى فات والحبيب اللى راح الله يمسيه بالخير !

ولا أعرف سراً لهذه الظاهرة إلا أن يكون مؤلف هذا اللون من الأغانى الشائعة بكثرة ، واحداً من الآتى بيانهم :

أولاً : مؤلف بكى عند مولده بلا سبب وبعد زواجه عرف السبب الحقيقى لبكاء الرجال عند مولدهم ، هنا يصبح أمراً عادياً أن يهرب المؤلف إلى ذكرى البنت التى لم تصبح زوجته ، والتى

لم تزن على دماغه أبداً ليصحبها إلى أقسام البضائع المستوردة ، والتى لم تكن تكلفه – الله يمسيها بالخير – إلا ثمن فنجان شاى فى جنينة الأسماك .

من البديهى جداً إذن أن يحدثنا مؤلف الأغنية عن الحبيبة اللى راحت هذه ، وأن يذكرها بالدموع لأن ماكانش لها تكاليف .

ثانياً – مؤلف يرى أن الحب نوع من أنواع الاستعمار الحريمى ، إذ تقوم المرأة بحشد جميع أسلحتها للقيام بعملية غزو شامل تسيطر خلاله على جميع المرافق العامة فى الرجل ، قلب الرجل ، وعقل الرجل ، وأعصاب الرجل ، ومحفظة الرجل أيضاً ، ثم ترفع علمها فوق رأس الرجل لتعلن أنه قد أصبح مستعمرة نسائية خاضعة لنفوذها ، ثم تنتقل نفس هذه المرأة للقيام بعملية استعمارية لرجل جديد يخضع لها نفس خضوع المؤلف المستعمرة ، وهنا لا يجد المؤلف فكاكا للتحرر منها فيلجأ إلى الصراخ والصويت والبكاء ، وشىء طبيعى جداً إذن أن نسمع من هذا المؤلف كلاماً غاضباً عن الحب اللى كان والحبيبة اللى راحت الله لا يمسيها ولا يصبحها مطرح ماهى قاعدة .

غير أننى أتلمس العذر لمؤلفى هذه الأغانى ، إنهم يتحدثون عن الحب اللى راح هو أن الحب المبتور له سحر خاص ، إذ أنه حب لم يصل إلى المأذون ولم ينتقل إلى مقره الأخير فى بيت الزوجية !

فلو أن كل حب من ماركة اللى فات واللى راح قدر له أن

يستمر إلى مداه لكانت نهايته هى قراءة الفاتحة على روح هذا الحب عندما يضع العريس يده فى يد « أبو العروسة » ؟ ..

ولو أن مؤلفى الأغانى الذين يكثرون من الحديث عن اللى فات واللى راح عرفوا قصة صديقى المرحوم محمد الفلانى لاقتصدوا فى دموعهم وصويتهم بسبب الهجر والفراق .

فقد كان صديقى محمد الفلانى شاعراً رقيقاً شفاف العاطفة . قال أحلى كلام فى الدنيا عندما افترق عن حبيبته التى أصر أهلها على تزويجها من رجل آخر ، وتشاء المقادير أن تنفصل الحبيبة عن الرجل الذى تزوجته بالإكراه لتقترن بصديقى الشاعر الرقيق .

وحمل محمد الفلانى – خلال شهر العسل – لقب : حضرة صاحب السعادة الزوجية ، ثم مرت بعض السنين ليفقد صديقى هذا اللقب ، ثم أعقبتها أعوام أخرى لترقد الزوجة على فراش الموت وإلى جوارها صديقى يستمع إليها وهى تقول :

– اغفر لى يا محمد .. فقد عذبتك كثيراً أثناء زواجنا ، كنت قاسية دائماً ووريتك المر ألوان وأشكال بينما كنت أنت طيب ومسامح .

وهنا قال محمد :

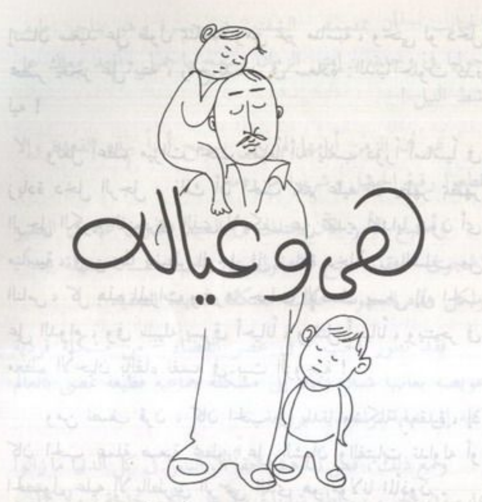
– أنا ؟؟

– أيوه يا محمد ..

فرد محمد قائلا :

– أما إنك ساذجة ! أمال فاكرة مين اللى حط لك الزرنيخ فى الكفتة ؟





لا شك أن الحب شىء لطيف جداً وله ألف ميزة وميزة !

فمن مميزاته الرائعة أن الرجل يتحول – مع الحب – إلى واحد أهبل وعبيط لا يتعامل مع عقل أو منطق ، وما أعظم أن يستريح الإنسان من التعامل مع عقله ، فالعقل متعب ومزعج وسخيف ، ولهذا قيل القول المأثور : المجانين فى نعيم .

كذلك من ميزات الحب أنه حقنة بنج قوية المفعول تضع الرجل فى حالة انعدام الوزن ، فيتحول – مع هذه الحالة – إلى

إنسان سعيد على طول بمناسبة ومن غير مناسبة ، وحتى لو دخل محضر يحجز على بيته ، راح يدندن فى سعادة : الدنيا احلوت كده ليه !

ولعل أعظم ميزات الحب جميعاً أنه يلعب دوراً أساسياً فى زيادة دخل الرجل ، ذلك أن الحب يحتم عليه أن يظهر بمظهر الرجل الكريم الفنجرى الذى لا يكف عن تقديم الهدايا بدون أى مناسبة ، ومن هنا يضطر الرجل إلى زيادة دخله .. بالسلف من الناس ، كل هذه الميزات وغيرها جعلت الإنسان يسعى إلى الحب على الدوام ، وفى سبيله يسرق أحياناً ، ويقتل أحياناً ، وينتحر فى معظم الأحيان بإلقاء نفسه فى بيت الزوجية !

ومن نصف قرن ، كان الحب فى بلدنا مشكلة معقدة ، إذ كان الحب عملة صعبة محظوراً على الشبان والفتيات تداوله أو الحصول عليه إلا بالطريق الرسمى الذى هو مولانا المأذون .

وكان روميو — فى تلك الأيام الغابرة — يقنع من الحب بالمرور تحت مشربية جوليا مردداً : مريت على بيت الحبايب ، فقد كان مجرد المرور على بيت الحبايب هو غاية المراد من رب العباد إذا تم بسلام بعيداً عن شنبات جدعان الحتة ، فقد كان ذلك العصر هو العصر الحجرى للحب وقد سمى كذلك للحجارة التى كانت تنهال على العاشق إذا اكتشفوا أمره !

وكانت منتهى تطلعات روميو العاطفية — بعد المرور على بيت

الحبايب — أن يمصمص الشفتين فى حسرة وهو يناجى طيف جوليا فى وحدته : إمتى الزمان يسمح يا جميل وأقعد معاك على شط النيل !

غير أن الزمن أيامها لم يكن يسمح أبداً بهذه القعدة وإلا قطعوا رقبة الجميل وشربوا من دمه .

وأصبح الأمر الآن يختلف فى العصر الذرى عنه فى العصر الحجرى — فقد أصبح الحصول على الحب مسألة سهلة جداً . ولكن هذه السهولة خلقت مشكلة شديدة التعقيد .

فقد تطور الحب — فى عصر الفضاء — من مشكلة فردية عويصة يعانيها شبان زمان إلى مشكلة جماعية فظيعة تمضى بالعالم كله إلى نهاية تراجيدية مروعة .

ومع ذلك ، فمن المدهش حقاً أن الناس فى كل الدنيا ما زالوا يمارسون الحب ببساطة شديدة ولا على بالهم حاجة ، ولا كأنهم سيتسببون بغرامياتهم فى أكبر مصيبة للدنيا تقلبها آخرة ، وذلك بعد أن غير الحب وظيفته من حافز غريزى لبقاء النوع ، إلى أداة تدمير للجنس البشرى بطوفان المواليد الرهيب الذى يقرب يوم القيامة أو المجاعة فى العالم !

فكلمة « أحبك » تبتدىء دائماً فى جو شاعرى هادىء تنتهى عادة بجو كله زيطة تثيرها نصف دستة عيال هم النتيجة الطبيعية لتلك الكلمة المأثورة .

ومن بداية الخليقة إلى يومنا هذا والرجل يقول للمرأة أحبك ، والرجال الذين قالوا هذه الكلمة المأثورة من عصر الكهف وما تلاه همسوا بها فى ظروف مختلفة ، بعضهم قالها فى الكهف وهو يفلى رأس حبيبته المنكوشة ، وبعضهم قالها وهو يقفز من الدور العلوى لأشهر محل أزياء فى زمنه وهو شجرة التوت ، حاملاً إليها فى يده فستاناً جديداً دليل المحبة . وبعضهم قالها فى الغابة وهو يتلفت خوفاً من العذول الذى قد يكون نمراً ميتاً من الجوع .

وأيا كانت الظروف التى قيلت فيها هذه الكلمة المأثورة على مدار العصور فقد انتهت إلى نتيجة واحدة هى تشغيل الدايات ومستشفيات الولادة حتى أصبح تعداد العالم من أيام آدم وحواء إلى أوائل القرن التاسع عشر ألف مليون مخلوق بشرى ، والشىء المخيف حقاً أن يصبح تعداد العالم الآن أربعة آلاف مليون نسمة ، بزيادة ثلاثة آلاف مليون فى ١٧٠ سنة فقط .. ولسة .

لقد أصبحت كلمة « أحبك » حسب الإحصاءات العلمية لمنظمة الأبحاث السكانية تقال ١٣٢ مرة فى الدقيقة ، فالمنظمة تقول إن عدد سكان العالم يزيد بمعدل ١٣٢ طفلاً كل دقيقة .. وعلى البشرية أن تنتظر المجاعة سنة ٢٠٠٠ !

ورغم هذا كله .. لسة برضه بيقولوا أحبك !

ولا هم هنا !

طيب وبعدين ؟

هل نقاوم الحب ؟

غير ممكن .

نبطل حب ؟

مستحيل طبعاً ..

والعمـــل ؟

يجوز عندما يقترب القرن العشرون من نهايته أن يشعر الرجل بالخطر إذا وقع فى الحب ، ذلك لأن نتيجة الحب وأحبك هى إنجاب عيال لن يجدوا لقمة العيش فى المجاعة التى يتوقعها العلماء ، ويجوز أن شركات التأمين سوف تتطور مع الظروف ومقتضيات الحياة الإنسانية ، فتمارس لوناً جديداً من النشاط التأمينى هو التأمين ضد الوقوع فى الحب خوفاً من إنجاب أطفال يأكلون بعضهم فى المجاعة فتفحص الشركة الشاب المؤمن فحصاً دقيقاً ويضع الأطباء تقريراً تفصيلياً عن حالته بوسائل علمية ستستحدث فى المستقبل بطبيعة الحال لمعرفة ما إذا كان الشاب من النوع « المندلق » أو من النوع « المنضبط » الذى لا يطب بسهولة .

ومع ذلك نعود إلى القول : لا أمل فى مقاومة الحب . فالحب يحظى بدعاية إعلانية لا مثيل لها ، فهو عصب كل فن ، فى الموسيقى والمسرحية واللوحة والفيلم والأدب بنثره وشعره ، لا أمل بالطبع فى القضاء على الحب وهو يملك هذه الأجهزة

الدعائية القوية ، فكل قصص الحب هى نشرات سياحية لدخول بيت الزوجية والإقامة فيه .

على أنه يمكن تحقيق بعض النتائج لو أن هذه الأجهزة الدعائية الفنية قلبت الاسطوانة لتحاول إعادة تلك الفترة من التاريخ التى أعقبت ظهور المسيحية ، فمن شدة انحلال وتفسخ مجتمع الرومان ، ظهرت دعوة قوية تحارب الصلات الجنسية بين الرجل والمرأة ، وتمجد المرأة القبيحة وتلعن المرأة الجميلة وقد أثمرت هذه الدعوة وقتها وحققت نتائج مذهلة ، إذ اختفى مجتمع الغوانى بعد أن تابت كل غانية إلى الله اقتداء بمريم المجدلية ، وانتشر الحب العذرى بين الأزواج والزوجات ! فهل سيجد العالم نفسه يوما مضطرا إلى تجديد هذه الدعوة لنرى الزوج ينهض من أمام التليفزيون بعد السهرة ليقبل زوجته من جبينها قائلا : تصبحى على خير يا أختى ؟





كل فتاة - تقريباً - تتصور أن موسم الصيف - فى المصيف - هو موسم الحب « وتلاقى الأفئدة » كما قالت لى إحدى البنات يوما ، وإن شئنا الدقة فى نقل تعبيرها : تلاكى الأفئدة .

وهذا بالطبع يمثل تفكير التمنيات لكل بنت تبحث عن عريس ، ذلك أن البنات ينقسمن إلى فريقين . فريق كل بنت فيه ترغب فى الزواج ، وفريق كل بنت فيه لا ترغب فى أن تصبح عانسا .

فالحب المصايفى هو غالباً حب بلاجانى ، وهو حب موسمى

فعلا ، إذ يظهر كل صيف مع بطيخ التسعيرة ، وكبطيخ التسعيرة أيضاً : أقرع لفت !

ذلك أن الحب البلاجاتى لاتتوافر له غالباً مقومات الحب الأصيل وعناصر استمراره لألف سبب وسبب ، فهو غالباً حب بين عيون الرجل وبين ألوان الطيف : الأحمر والأخضر والأزرق والأسود .. إلى آخره ، مع ملاحظة أن الرجل شديد التعلق بأى لون من هذه الألوان إذا كانت فى مايوه حريمى وبشرط أن يكون المايوه ممتلئاً !

وهو إذا لم يكن كذلك –الحب فى المصيف– فهو نوع من الهروب ، فعلى البلاج يهرب الإنسان من جدية الحياة ومسئولياتها فى انطلاقة مؤقتة عمرها عمر المصيف ، إذ يتحول الرجل إلى طفل صغير غير مسئول ، يبلبط فى الماء ويلعب فى الرمل ، ويجرى وراء أصدقائه فى لعب طفولى ، وكالأطفال أيضاً يرى أن دورة المياه لاضرورة لها لحظة نزوله البحر !

وهذه السمات الطفولية التى تلوح على شخصية الرجل فى المصيف تحول حبه إلى نوع من الحب العيالى ، فهو فى حقيقته لايحب وإنما يهرب ، يهرب إلى طفولته حيث لامسئولية ويهرب إلى صباه أيام بنت الجيران ، والبنت التى تتصور أنها تبادله الحب هى أيضاً تهرب ، تهرب من رقابة البيت وكتمة البيت وكنتى فين وغبتى ليه إلى آخر القائمة المعروفة ، والرجل المتزوج الذى يقابلها

وراء الصخرة فى حركات عيالى يشكو لها عذاب حياته مع زوجته أم العيال الجالسة على الشط وكيف أنها – البنت – أصبحت أمل حياته ، وهذا الزوج لايعنى ما يقول ، مجرد كلام تخاريف فى حالة هرب وفى مكان يحلو فيه الهروب ، الهروب من حقائق الحياة ومن مسئوليات العمل .. ومسئوليات البيت أيضاً .

ولقد رأيت عينة من هذا الحب العيالى بين رجل متزوج وفتاة جامعية ، إذ بلغت به الصبيانية التى تفرضها طبيعة المصيف آخر مداها ، فكان يجلس فى الكابين وسط زوجته وأولاده ويتبادل الكلام والعتاب مع الفتاة بالأسطوانات ، فيضع على الجرامفون أسطوانة : تخونوه وعمره ما خانكم ولا انشغل عنكم .. ، والظاهر أنه كان بينهما حديث سابق اتهمها فيه بالخيانة ، إذ ردت الفتاة بعد قليل باسطوانة على جرامفونها تقول : بريئة بريئة أحلف لك بريئة ، بعد قليل يضع هو اسطوانة : أنا كل ما أقول التوبة يابوى ترمينى المجادير ، بعد فترة ترد البنت باسطوانة : آه لو تعرف ياحبيب قلبى ، فيسوق هو الدلال ولا يرد ، فتواصل هى المحاولة باسطوانة : انت وبس اللى حبيبى .. وينتهى الأمر بأن يرق ويصفح ويضع فى النهاية اسطوانة : وابنى لك قصر عالى ، ومعناها طبعاً أنه سيتزوجها على أم العيال !

ما الذى حدث بعد كل هذا التعب العيالى ؟

هل بنى لها قصراً عالياً ؟

أبداً . لا شيء . انتهى المصيف وعاد طفل البلاج رجلا بشنب مرة أخرى يدرك مسئوليات حياته ..

هذا عن الرجل المتزوج ..

فماذا يفعل غير المتزوج فى هذه الحالة ، حالة الحب البلاجاتى ؟ ..

الذى يحدث عادة – قرب انتهاء المصيف – أن البنت تفكر فى الهرب من قيود البيت بالزواج من الشاب .. والشاب يفكر فى الهروب من قيود الزواج بالهرب من المصيف كله !



طبعاً شباب العصر القمرى شاهدوا أفلام عبدالوهاب القديمة فى التليفزيون باعتبارها نكت تفطس من الضحك ، فهم يرون الحب فى تلك الأفلام أشبه بعملة أثرية منقرضة غير قابلة للتداول ، أو هو حب معلب لاتتجاوز حدود وجوده علب الأفلام التى تحتويه ، فإنه من المستحيل واقعيا وجود هذا الحب المومياتى الأنتيكة فى العصر القمرى !

ولكن واحدة من بنات عصر الفضاء قالت لى إنها مفتونة بهذه الأفلام ، مبهورة بشخصية عبدالوهاب فيها كعاشق رومانسى ، شاعرى وخيالى وحالم ويعرف يحب حب على أصله !

وهى تنتقل من الإعجاب الباهر برومانسية أفلام عبد الوهاب إلى لومى لأننى أقول لو أن روميو وجولييت عاشا فى أوربا فى عصر الفضاء لوجدنا روميو يطلق شعره كأى خنفس ، ووجدنا جولييت تحتفظ فى حقيبة يدها بحبوب منع الحمل ، ولا مشكلة واحدة فى الحب بينهما لأنه حب آخر سبهللة ..

ولست أدرى لماذا تربط بنت عصر الفضاء بين عبد الوهاب – فى أفلامه – كعاشق رومانسى ، وبين قصة روميو وجولييت ، يجوز لأن الحب على الطريقة الوهابية الغارقة فى الرومانسية ينتمى إلى نفس فصيلة الحب على الطريقة الروميوية ، وهو الحب الذى يرفضه شباب العصر القمرى ، ويعتبرونه نكتة ، ولا أعرف – بناء عليه – لماذا تلومنى أختنا عما قلته عن روميو وجولييت ؟ هل هى متصورة أن روميو الأوروبى ممكن أن يحب سنة ١٩٧٠ بتلك المشاعر العميقة العريضة التى أحب بها جولييت زمان !!؟

يكفى طبعاً أن نتصور حكم شباب اليوم الأوروبى على روميو لو رأوه الآن يناجى نجوم الليل بدموعه ويكتفى من جولييت بتقبيل أناملها بعد أن ينقطع قلبه فى الصعود إلى شرفتها ، فلن يكون حكمهم عليه إلا أنه معتوه يجب إدخاله معهد الشواذ ، أو زفة يحيطون فيها به : العبيط أهه !

ذلك حكم شباب العصر وفق رؤية العصر ، ومع ذلك ، فإن هناك حقيقة متناقضة تماماً قد تسعد أختنا الفضائية وهى أن هذا الحب الأنتيكة قابل للتداول فى أشد المجتمعات كفراً به : السويد مثلا !

إن البنت السويدية مثلا جايز تموت بالسكتة القلبية من الفرحة لو صادفت عاشقاً رومانسياً كعبد الوهاب ! جايز تصاب بلوثة من سعادتها وهو يقول لها : طال انتظارى لوحدى والبعد عنك أليم ، جايز يغمى عليها من النشوة لو قطف وردة من حديقتها قائلا : ياوردة الحب الصافى .. تسلم إيدين اللى سقاكى ، ولا أدرى مدى ما قد يصيبها من خبل لو أمسك بيدها ونظر فى عينيها نظرة رومانسية ملتاعة ، أو لو أمسك بيدها وهمس فى أذنها : شايفة القمر ياكريستينا ؟؟ فإن كريستينا المسكينة تعيسة فعلا فى حياتها : الحمل والولادة أصبح عندها كمجرد الإصابة بالأنفلونزا ، يدق البوى فرند التليفون فى بيتها فيرد عليه أبوها ليسأله البوى عن كريستينا فيرد الأب قائلا : والله دى كريستينا جالها الطلق الليلة ومش حتقدر تيجى لك .. يتربى فى عزك ياابنى ، فيقول البوى فرند : لا ده مش أنا أبوه ياعمو ، ده الواد انجمار اللى كان مصاحبها .. هاها إنما أنا لسه ، فيرد الأب : كده ؟ طيب عقبالك ياابنى !

فكريستينا زهقت من لعبة الجنس ، قرفت بعد أن أصبح الجنس سهلا وميسورا ، أما الحب فهو العملة الصعبة فى بلدها ، والحصول عليه أصعب ، فالشبان يؤمنون بأن عدم الحب لا يكفى للزواج ، أما الحب فخسارة فى الزواج ، وما الداعى للحب ووجع القلب والبنات على قفا مين يشيل فى بلد تعداد النساء فيه يفوق تعداد الرجال ، فالمسألة تخضع لقانون العرض والطلب ، والشباب

هناك لايمكن أن يقول للبنت .. طال انتظارى لوحدى ، والبعد عنك أليم ، فإن أغنيته المفضلة هى : لاموش أنا اللى ابكى وأقول علشان خاطرى وعايز أترجاك .. غورى فى ستين داهية .

ماذا تملك كريستينا غير أن تلعب لعبة الجنس ؟

صحيح إنها سعدت باللعبة فى البداية ، ولكن اللعبة أصبحت عندها كالنكتة البايخة المعادة ، لا جديد فيها ، فقدت طعمها ، إذن فلتلجأ كريستينا إلى تحقيق المتعة المفقودة بمزيد من الشذوذ حتى تشعر بالإثارة ، حتى يكون فيها جديد ، فلجأت إلى ما لجأ إليه الشاعر لورد بايرون عندما فقد عنصر الإثارة ، وراح يبحث عن متعة حريفة –وفق تعبيره– فتزوج من أخته أوجستا . كريستينا أيضاً فى السويد فعلت ذلك . تزوجت من شقيقها وأنجبت منه وأحيلت للمحاكمة فلم يملك القاضى إلا أن يحكم بأن زواج الشقيقين يمكن أن يستمر ، ووقف النائب جوبهلم فى البرلمان السويدى يطالب بسن قانون يبيح زواج الشاب من أخته . !

والنتيجــة ؟

والنتيجة أن الحب الموميائى المحنط فى قصة روميو وجولييت سيعود للظهور من جديد ، وفى السويد غالباً ، وستضم قائمة عشاق التاريخ اسمين جديدين فى العصر القمرى ، وقد يكون الاسمان : وهلم وجوليانا ، وستنافس قصتهما قصة روميو وجولييت ، ذلك أن التاريخ يعيد نفسه ، والتاريخ يقول إنه كلما

أصبح الحب عملة صعبة فى مجتمع مزدهر الحضارة ، فلابد من ظهور قصص حب خالدة فى هذا المجتمع ، فقد ظهرت قصة روميو وجولييت فى غمار الانحلال الذى ساد حضارة عصر النهضة ، إذ كان الجنس والشذوذ الجنسى هما العملة السهلة أو أسهل عملة ، وما يرويه الشاعر دانتى فى (الكوميديا الإلهية) عن الجنس فى ذلك العصر هو آخر مسخرة ، وهى مسخرة تتفوق فى تفشيها على مسخرة أوروبا الجنسية فى عصر الفضاء .

كذلك فى عصر اقتناء الجوارى بالدستة والترف الحضارى والليالى الملاح تحول الجنس إلى عملة سهلة والحب إلى عملة صعبة فظهرت قصص الحب العذرية المعروفة : قيس وليلى وجميل بثينة وكثير عزة .

وبناء عليه ، فإن قصة وهلم وجوليانا وشيكة الظهور بعد ماوصل المجتمع هناك إلى تلك الحالة من الشوربة الجنسية التى غرق فيها لأذنيه .

ويجوز جداً أن تكون قصة وهلم وجوليانا بداية لموضة جديدة يسود فيها الحب العذرى الدنيا كلها ، فيلجأ كل وهلم إلى حيل قيس القديمة لرؤية ليلى بأسباب ملفقة ، أو يتوسل بوسائل روميو فى لقاءاته بجولييت ، وفى هذه الحالة سوف يتحول أبو جوليانا إلى رجل حمش من طراز آخر لا يقبل على وجه

الإطلاق أن تنجب ابنته ابناً غير شرعى من وهلم ، ولذلك سوف نراه يشخط فى جوليانا وهى ترتدى ثيابها وتتأهب للخروج :

– رايحة فين يا مقصوفة الرقبة .

– خارجة أشم شوية هوا ..

– أنا عارف إنك رايحة تقابلى الواد وهلم ..

– ......

– انطقى ...

– أيوه .....

– أنا لا يمكن أسمح لك تقابليه إلا إذا أخدتى حبوب منع الحمل .





يجوز أن ينجح العلم ذات يوم فى زراعة المخ ، ولكن هذه الخطوة العظيمة سوف تخلق مشاكل أعظم فى حياة الإنسان ! .

صحيح أن تغيير المخ التالف بمخ سليم قد يحل مشكلة السينما عندنا بانتزاع مخ خميس فجلة من دماغه ووضع مخ انجمار برجمان بدلا منه ، ولكن المشاكل الناجمة عن تغيير المخ سوف تصبح دائماً أكبر من المشاكل التى تم حلها بتغييره !

فالمخ غير القلب والبنكرياس والكلى وغيرها ، المخ هو شخصية الإنسان بكل مقوماتها من سلوك وتصرفات وطباع وعلم

ومعرفة وثقافة وتجارب واختزانات . وانتقال مخ من دماغ إلى آخر مسألة لاتغير من طبيعة هذا المخ فى الدماغ الثانى ، فوجوده فى الدماغ الثانى هو مجرد استمرار لوظيفته فى الدماغ الأول !

فلو دخل كاتب كبير أو فيلسوف مفكر غرفة العمليات وخرج منها وفى رأسه مخ آخر فمن المؤكد أنه سيعيش بقية حياته بالمقلوب إذا كان المخ الجديد الذى زرع فى دماغه هو مخ النشال كتكوت !

فأول مشكلة سيواجهها المفكر الفيلسوف بعد أن يفتح عينيه فى أعقاب العملية هى أنه لا يعرف له اسما سوى اسم كتكوت !

أما اسمه واسم أسرته واسم زوجته وأسماء أصدقائه فهو لا يعرف عنها شيئاً ، فذاكرته التى تعمل بعد العملية هى ذاكرة النشال كتكوت ، وكل اختزاناتها هى اختزانات كتكوت ، ولذلك فهو لايعى شيئاً نهائياً عن ماضيه كمفكر وفيلسوف ، ولا يستطيع أن ينظر إلى الماضى إلا من ذاكرة كتكوت ! وسوف تفزع زوجته قطعا عند زيارته وهو يعاملها كما لو كانت سيدة غريبة ، وسوف تفزع أكثر عندما تكتشف أنه يحاول نشل ساعتها وفلوسها من الشنطة !

وقد تتحمل الزوجة التضحية بشجاعة فتقف إلى جوار زوجها فى محنته ، فترتضى صابرة سلوكه الكتكوتى الجديد إذا ضربها أو إذا دلق على دماغها حلة الملوخية لأنها ناقصة ملح أو إذا

حلف عليها بالطلاق ما هى شايفة أمها ، أو إذا كسر لها ضلعين لأنها ذهبت إلى الكوافير ، أو إذا أصر على أن يناديها : روحى يا بت .. تعالى يا بت !

وقد تمد الزوجة فى حبال الصبر إذا رأت زوجها المفكر الفيلسوف لايرتاح إلا لصحبة النشالين والحشاشين والصياع والسوابق ، وأنه لم يعد يفتح كتابا ليقرأ أو يبحث أو يدرس ، بل أصبحت هوايته النط فى الأتوبيسات المزدحمة ، وقضاء وقت فراغه فى لعب الكومى أو البرغوتة إلى جوار سور الإسعاف أو باب الحديد .

وبالاختصار سوف يتحول المفكر الفيلسوف إلى مفكر فيلسوف سابقا ، وعليه العوض فى كل ما بذله من جهد السنين فى العلم والتحصيل والبحث والدرس ، فكل هذا الجهد ذهبت حصيلته الضخمة مع المخ التالف الذى رماه الدكتور ، ولم يعد فى دماغه إلا مخ النشال كتكوت ، وسوف ينتهى عذاب زوجته معه بطلب الطلاق بعد القبض عليه .

فإذا عكسنا الوضع وكان مخ المفكر الفيلسوف هو الذى انتقل إلى دماغ كتكوت ، وجدنا أمامنا وضعاً جديداً تخلقه زراعة المخ وهو أن الإنسان يمكن أن يستغنى عن المدارس والجامعات والاطلاع والبحث ، ومع ذلك يصبح مفكراً وفيلسوفاً ، فأى نشال أو حرامى أو صايع يمكنه - فى غمضة عين - أن يصبح عالم

فضاء أو طبيباً كبيراً أو مهندساً عبقرياً دون حاجة إلى تعليم فى المدارس ومذاكرة وتعب قلب للحصول على مجموع يرضى عنه مكتب التنسيق، فالمخ الجاهز فى الخدمة دائماً !

أما بالنسبة للمرأة فالمسألة أشد صعوبة، تتمثل صعوبتها فيما لو غيرت السيدة علية مثلا مخها بمخ المرحومة بدرية، ثم اصطحبت السيدة علية زوجها إلى حفلة، فيفاجأ الزوج بالسيدة علية وهى تأخذ راجل غريب بالحضن والبوس، ثم يتضح أنه أرمل السيدة بدرية !

أو إذا أجريت عملية استبدال مخ لمربية فاضلة تربى بناتها فى المدرسة على الفضائل ومكارم الأخلاق، ثم يتضح أن مخها الجديد هو مخ الراقصة سنية سوسته، وتذهب البنات لزيارة حضرة الناظرة فى المستشفى فإذا بحضرة الناظرة ترقص لهن عشرة بلدى وهى تغنى : آه ياوله .. آه ياوله !

وإذا كان جراحو زراعة القلب قد صرحوا بأن عملية استبدال القلب ستصبح فى سهولة عملية الزائدة الدودية خلال العشرين سنة القادمة فسوف ترتفع نسبة الجنون فى العالم إلى درجة خطيرة كما تؤكد مؤتمرات الأمراض العقلية، الأمر الذى سوف يتعذر معه – فى بنك الأمخاخ – معرفة المخ العاقل من المخ المخلول، مما سوف يؤدى إلى دخول المريض العاقل إلى غرفة العمليات ليخرج منها على السراية الصفرا !

فالخط البيانى للجنون فى العالم يرتفع إلى أعلى بسرعة الصاروخ

والسبب – كما تقول مؤتمرات الطب العقلى – هو النمو الحضارى السريع والتوترات التى تظلل جو الحياة فى العصر الحديث، وفى بلد كالولايات المتحدة ينتشر الجنون بشكل وبائى رغم ملايين الدولارات التى تصرف على أبحاث الطب العقلى، وفى إحصائية رسمية أمريكية، ثبت أن شخصاً من كل عشرة أشخاص مصاب بالجنون .

وقد أصبح شيئاً عادياً أن يلتقى الأمريكى بالأمريكى فينظر كل منهما إلى أطراف أصابع الآخر ليعرف إن كان مجنوناً أم عاقلاً، ففى تقرير نشرته هيئة طبية أمريكية أن المصابين بالشيزوفرينيا –أكثر أنواع الجنون شيوعا فى أمريكا– يتميزون عن سواهم بأن الشرايين والأوردة تبدو متقاطعة فى أطراف أصابعهم بعكس العقلاء الذين تبدو الشرايين والأوردة فى أصابعهم على شكل دائرى !

والذى يتابع مئات البرقيات الصغيرة التى تنقلها وكالات الأنباء يومياً، فإنه سوف يهرش فى رأسه فى حيرة وهو يتساءل : ماذا جرى للناس فى الدنيا كلها، فحتى عقلاء الناس أصابتهم (هفة) غريبة !

مثلا .. قاض – فى سنغافورة – دخل قاعة المحكمة ليفتتح الجلسة، ثم نظر – قبل أن يجلس – إلى جمهور المتفرجين فى القاعة –وكانوا أكثر من مائتى شخص– وقبل أن يجلس أيضاً – كان قد أصدر حكمه عليهم جميعاً – من غير مناسبة – بالحبس ثلاث سنوات !

رجل اقتصاد – إيطالى – ألف كتابا عن إدارة الأعمال قال فيه: إن المدير الناجح هو الذى لا يظهر أمام موظفيه حتى يعملوا فى سلام وهدوء بعيداً عن سفالته وطولة لسانه وقلة أدبه !

قسيس – فى كولومبيا – راح يؤكد لأحد مواطنيه الأثرياء أن القيامة ستقوم فى إبريل ، فأنفق الأمريكى الثرى كل ثروته قبل أن تقوم القيامة ، وجاء إبريل ولم تقم القيامة وأصبح الثرى الأمريكى شحاتا يشتهى اللقمة !

رجل – اسكتلندى – ينشر إعلانا فى الصحف يعرض فيه بيته للبيع ويقول عنه فى الإعلان إنه يتسع لشخصين ونصف شخص ولن يبيعه إلا إذا سكن فيه شخصان ونصف شخص !

رجل – أمريكى – يصمم على رفع دعوى تعويض على « الله » لأن المحكمة اعتبرت الحادث الذى وقع له « قضاء وقدرا » .

وألوف البرقيات الأخرى من هذه العينة ، وكلها تؤكد أن « الهفة » تجتاح العالم كله !

وإذا كانت إحصائيات الهيئات الطبية العالمية تقرر أن عشرة فى المائة من سكان العالم مصابون بالجنون ، فلا شك أن هذه النسبة سوف ترتفع ارتفاعاً شديداً مع اطراد النمو الحضارى الذى يحمل معه مزيداً من الجنون والخلل العقلى !

ومهما كانت درجة التقدم التى سوف يحققها الجراحون فى زراعة المخ ، فإنه أهون كثيراً وأكرم للإنسان أن يموت بمخ تالف من أن يعيش بمخ مجنون أو نشال أو بلطجى !



إعتادت المرأة أن تطلق على الرجل سلسلة من الأسماء يختلف استعمال كل منها حسب الحالة ، فهى فى أيام الغرام تسمى الرجل روحى وحياتى ، وهى بعد الخطوبة تقول: خطيبى أهه ، وهى فى ليلة الزفاف تقول: عريسى أهه ، وهى بعد الزواج تسميه جوزى ، وفى آخر يوم فى حياته تناديه قائلة : ياسبعى ياجملى !

وهناك أسماء أخـرى قد تطلقها بعض الزوجـات على الرجل من خلف ظهره مثل « البلوى » و « الكبة » و « الهباب » ، فتقول فلانة لعلانة : ليه ماعملتيش فستانك على الموضة الجديدة

يا علانة ؟. فترد علانة قائلة : الكبة مايحبش اللبس محزق ، وقد تسأل فلانة علانة لماذا لم تفصل فستانها الجديد مينى جوب فوق الركبة ؟. فترد علانة قائلة : الهباب يطلقنى !

وقد سمع الأستاذ هباب هذا الكلام البايخ فطلقها فعلا دون أن ترتدى المينى جوب ، وذلك احتجاجاً على تسميته بالهباب . وقد فشلت كل محاولاتى فى إعادة المياه إلى مجاريها بين الزوجين ، إذ حاولت فى البداية أن أقنع الزوج بأن الهباب هو اسم دلع لطيف فثار فى وجهى ، ثم حاولت أن أفهمه أنه خير له ألف مرة أن يكون اسمه الهباب على أن يكون اسمه المغفل ، فلا شك أنه مغفل كبير ذلك الرجل الذى يدفع ثمن فستان مينى جوب ليتفرج بقية الرجال على سيقان زوجته ، ولكنه أصر على الطلاق !

والشىء الغريب أن مدام هباب هذه سيدة متعلمة ، متزنة عموماً وكل تصرفاتها تدخل فى نطاق المعقول ، ولكنها تصل إلى حد الموضة وتفقد رأسها ، فهى تدافع عن كل موضة بحماقة لها العجب ، حتى موضة المايوه ذى الصدر العارى تقول عنها مدام هباب : إنها موضة ليس فيها ما يشين لولا أفكاركم السيئة المنحطة أيها الرجال ، ودفاعاً عن تلك الموضة الرقيعة تضيف مدام هباب : إن المرأة فى بعض القبائل الأفريقية تخرج عارية الصدر تماماً دون أن يهتم الرجال بذلك .. ليه !؟ لأن أفكارهم ليست منحطة ولا سيئة مثل أفكاركم ! فلولا أفكاركم الهباب لكانت هذه الموضة طبيعية جداً ، أما عن موضة المينى جوب ، فإن مدام هباب تدافع عنها

دفاعا حارا مستشهدة على ذلك بأن صاحبة بيت أزياء كارنابى قد حصلت على وسام من ملكة انجلترا مكافأة لها على هذا الاختراع المدهش الذى حقق وفرا كبيرا فى استهلاك الأقمشة ، وغضبت منى مدام هباب عندما قلت لها إن الملكة بلا شك ستمنح فى المستقبل أكبر أوسمة الدولة لمصمم الأزياء الذى سيعلن أن ورقة العنب هى الموضة ، فلا شك أن هذه الموضة ستغنى المرأة عن الأقمشة تماماً !

وإذا كانت مدام هبــاب مجنونة بالموضة فهى بين النساء ليست نشازاً ، فكل نساء الأرض مجانين بالموضة ، وكل نساء الأرض يعشن فى جبلاية كبيرة كجبلاية القرود فى الجيزة ، وكما يتزعم الشمبانزى مسعود جبلاية القرود يتزعم إيف سان لوران وجى لاروش وكاردان جبلاية نساء العالم ، فكبار مصممى الأزياء فى باريس هم ملوك الجبلاية وسلاطينها ، وأى إشارة من واحد فيهم تقوم بعدها كل نساء العالم بعجين الفلاحة تقليداً للمانيكان التى تعجن عجين الفلاحة ، فإذا قال واحد مجنون مثل روبين نوريزان المايوه الذى يعرى الصدر هو الموضة ، قامت النساء فى جبلاية العالم بعجين الفلاحة ، وإذا قال إيرفن سيلرز إن فستان فوق الركبة هو الموضة ، قامت نساء الأرض بعجين الفلاحة ، وإذا أعلن روبين توريز أن موضة الصيف القادم هى الفستان المفتوح البطن ، قامت النساء بعجين الفلاحة ، وإذا قالت الست الحشمة مدام كوكو شانيل إن التايير الفلانى هو الموضة

رفضت نساء الجبلاية القيام بعجين الفلاحة ، وإذا قالت مدام كارفن إن الموضة هى الشيء الفلانى ، أضربت نساء الجبلاية عن القيام بعجين الفلاحة !

فالظاهرة الغريبة أن النساء فى جبلاية العالم لا يأتمرن إلا بأوامر سلاطين الجبلاية من الرجال ، ربما لأن المرأة تكره المرأة ، فما من امرأة تلتقى بامرأة إلا وتنظر كل منهما إلى فستان الأخرى من أسفل إلى أعلى وبشيء من الاحتقار ، والثوب الوحيد الذى لا تنظر إليه المرأة من أسفل إلى أعلى إذا ارتدته امرأة أخرى هو ثوب السجن أو قميص مستشفى المجاذيب !

ربما لأن المرأة لا تثق فى قدرة المرأة على الإبداع والابتكار !

وربما لأن المرأة التى تحررت من القيود التى فرضها عليها الرجل عبر عصور التاريخ تنفس عن نزعتها فى حب الخضوع للرجل عن طريق السجود لأوامر سلاطين الجبلاية مهما كانت هذه الأوامر !

مع أن سلاطين الجبلاية هؤلاء يصدرون أوامرهم وفق ماتمليه نزواتهم الشخصية ، فسلطان مثل جى لاروش يقول إنه أصبح يكره الارتباط بحب امرأة أثناء تصميم الموضة الجديدة لأن المرأة التى يرتبط بها تقيده فى خطوط الموضة ، فلو كانت بكرش جعل خطوط الفستان تخفى هذا الكرش ، ولو كانت ركبها وحشة غطى الركبتين ، فإذا كانت جميلة الركبتين رفع ذيل الفستان

لفوق ، وإذا كانت سيقانها معيزى جعل الفستان طويلا إلى تحت ! وإذا كانت مصابة بحروق فى صدرها أقفل صدر الفستان بالضبة والمفتاح ، فإذا لم يكن صدرها « مقفع » صمم الديكولتيه واسع جداً ..

وهكذا .. كل سلطان من سلاطين الجبلاية يفرض أوامره حسب نزواته ، ولو أتيح للأطباء النفسيين أن يحللوا كل سلطان من سلاطين الجبلاية لوجدوا جذورا عميقة لهذه الهبالات والعباطات التى يفرضونها على نساء العالم باسم الموضة ، وربما توصل هؤلاء الأطباء إلى أن الرجل الذى ابتكر موضة الصدر العارى فى المايوه والفستان له أخت ترقص استربتيز فى كباريه ، وبناء عليه فلتتعرى نساء العالم حتى لا يعيره بأخته العريانة وعلىَّ وعلى أعدائى يارب ، وربما وجد الأطباء أن مخترع المينى جوب من عيلة كلها أرتستات ، وبناء عليه ، فعلى كل سيدة محترمة أن تلبس لبس الأرتست ! فلا شك أن الميول النفسية تتحكم فى هؤلاء السلاطين ، وقد كان ديور مثلا رجلا عجوزا زاهداً فى المرأة ، ولهذا ابتكر لها موضة الفستان الطويل الذى انتشر فى العالم كله ، فلما خلفه الولد المراهق إيف سان لوران أسرع يعرى سيقان المرأة إلى ما فوق الركبة !

ومهما كانت الدوافع والميول عند سلاطين الجبلاية فعلى المرأة أن تأتمر دائماً بأمرهم وأن تقلد وأن تقوم بعجين الفلاحة فى كل الأحوال ، وهو أمر يغرى كل رجل بأن يكون سلطاناً من سلاطين

الجبلاية وما أسهلها من شغلانة تستطيع أن تقوم بها بمنتهى البساطة ! تقليعة واحدة وبعدها تصبح إمبراطوراً من أباطرة الجبلاية الكبيرة ، تقليعة تقول للستات إن بيت فلان الفلانى للأزياء والتجميل يعلن أن الموضة الجديدة هى أن تكون الست بحاجب واحد ، وبعدها ستختفى نصف حواجب الستات من الدنيا وتصبح أى ست بحاجبين مضحكة لبقية الستات لأن حواجبها ديموديه .. يعنى موضة قديمة !

وإذا كان مصممو الأزياء من سلاطين الجبلاية يتفلسفون على الفاضى فى فلسفة الخطوط والبناء الهندسى للفستان وأن الموضة مستوحاه من كذا وكيت فيمكنك أن تعلن أن بيت أزياء فلان الفلانى يعلن عن أحدث موضة فى الدنيا وهى « الأوتوماتيف فاشن » أو الموضة الأتومبيلاتى ، ثم تقيم عرض أزياء عالميا للفساتين الأوتومبيلاتى وبعدها ستجد نساء الجبلاية وقد رمين برانيط ديور ولاروش لتلبس كل واحدة فى دماغها فردة كاوتش فسبا ، مع فردة كاوتش ستبن على ظهر الفستان فوق الاكصدام ، ويمكنك أن تلعب بهذه الموضة الأوتومبيلاتى سنين طويلة ، سنة تقول للستات الاكصدام فى الفستان السنة دى عالى خمسة سنتى عن ذيل الفستان ، الاكصدام السنة دى على ذيل الفستان بالضبط ، موضة الفستان السنة دى فانوس الشيفروليه بدلا من البويك ، رادياتير الفستان السنة دى ينزل تلاتة سنتى عن الفوانيس ، سوستة الفستان السنة دى على الظهر بأكرتين بدلا من أكرة واحدة .. وهكذا !

ولو توافرت لك إمكانيات الدعاية والهمبكة ، فلن تصادف امرأة واحدة فى العالم لها حاجبان ، ولن ترى امرأة واحدة إلا وفى دماغها فردة فسبا ، فهذا هو سر قانون الجبلاية ، ولله فى نساء الجبلاية شئون !

سيدتى العزيزة كل حواء ..

تعرفين كم أنا معجب بذكائك (راجعى مقدمة الكتاب) ، وقد استبان لك – من كل الصفحات السابقة – أن دماغ الرجل ليس فوق مستوى الشبهات .

فكيف تنقادين وراء هذا الدماغ فى خطوط الموضة وأنت التى تقودين – دائماً – الرجل من شوشة دماغه ؟

هل يرضيك أن يكون مبتكر المينى جوب والميكرو رجلا قليل الأدب طلع فى دماغه – فجأة – أن يعرى أفخاذ النساء دون أن يتعرض للقبض عليه من بوليس الآداب ؟

أين ذكاؤك يا عزيزتى ؟

إننى كبير الأمل فى هذا الذكاء ، فهيا امسكى بزمام المبادرة وتسلمى أمر الموضة واصنعى خطوطها بنفسك لا عن طريق أدمغتنا ، وأملى فيك كبير أن تستولى على تخطيط موضات الأزياء الرجالى ، وأن تحوليها إلى جبلاية قرود ، مبتدئة – من باب الانتقام – بهذه الموضة : بدلة رجالى من غير بنطلون .



هناك قاموس معروف للعبارات والتعبيرات الغرامية التى يرددها الرجل ، وفى هذا القاموس مجموعة من التعبيرات تعد من أوسعها شهرة ، والأرجح أن قائلها هو أول عاشق فى التاريخ ، فهى قديمة ومستهلكة ولا جديد فيها ، ولو كان مخترعها على قيد الحياة لجمع بلايين الجنيهات من حق الأداء العلنى المترتب على استعمال هذه التعبيرات بشكل وبائى .

من هذه التعبيرات التى يتضمنها القاموس كلمة «أحبك» .

ويقول القاموس عن هذا التعبير : يتردد هذا التعبير بكثرة فى

شارع الجبلاية وشارع الهرم وشارع الجزيرة والكورنيش وحديقة الأسماك وجزيرة الشاى ، ومدافن خوفو وخفرع ومنقرع ، والضواحى المحيطة بهذه المدافن كصحارى سيتى ، كما يتردد فى كل مكان شاعرى هادىء فيه أضواء خافتة وموسيقى ، ويندر استعمال هذا التعبير – أحبك – فى المنازل الزوجية .

وأحبك مكونة من «أحب» وهو فعل مضارع ، والكاف ، وهى ضمير يعود على واحدة غالباً جالسة إلى جوار قائل التعبير ، داخل سيارة تمشى واحدة واحدة فى أحد الشوارع المذكورة أعلاه أو ما يشابهها ، أو تكون جالسة أمامه فى أحد الأمكنة الرومانسية المشار إليها .

والطريقة التى يقول بها الرجل هذا التعبير تكشف إلى حد ما عن صدقه أو كذبه .

فإذا قال «أحبك» بنبرة عادية وخفيضة نوعا دل ذلك على مسحة صدق .. مشكوك فى أمرها !

وإذا قال هذا التعبير همساً كان هذا قرينة على الكذب ، ذلك أن الهمس يوحى دائماً بأن الكلام صدق فى صدق ، ولعل هذا هو السبب فى أن العشاق يفضلون الحديث الهامس !

وقد لا يكتفى العاشق بكلمة أحبك وحدها ، بل يلحق بها كلمة أو كلمات تنتمى إلى فصيلة واحدة مثل : ياحياتى ، وياعيونى ، وكلما زادت هذه الكلمات المضافة إلى كلمة أحبك ،

كان حجم كذبه أكبر ، ذلك أن تلك الكلمات هى مجرد ستار من الدخان يطلقه لتغطية كذبه وهو مسبل الجفنين ينطق بكلمة أحبك !

ويستعمل الرجل تعبير «أحبك» بكثرة فى أيام الخطوبة والغرام ، ثم ما تلبث حروف هذه الكلمة أن تتآكل على شفتيه بعد فترة من الزواج ، حتى تختفى من فمه تماماً .

ويقال هذا التعبير –أحبك– بشكل آلى لا إحساس فيه إذا كان الرجل ذئباً ، كما قد يقال بشكل حقيقى إذا لم يكن الرجل من فصيلة الذئاب ولكن من فصيلة الحمير ، أى يحب واحدة تهيم غراماً بفلوسه .

ومن عادة الرجل الذئب أن يعقب هذا التعبير بقوله : وحياتك ما لى أى غرض إلا احبك وبس ، ويتضح لها أنه ليس له فعلا أى غرض شريف .

كذلك من عادة الرجل الحمار أن يحلف مائة يمين بعد أن يقول لها أحبك ، ذلك لأنها –من باب النصاحة– تتظاهر بعدم تصديقه .

وتعبير «أحبك» له ردود معروفة من جانب المرأة تختلف باختلاف الظروف والأحوال .

فإذا قالها الشاب لواحدة فى الطريق العام مثلا كان الجواب :

– إخرس ياقليل الأدب حبك بورص . وعادة تعقب هذه العبارة النسائية ضجة تنتهى بالشاب إلى التخشيبة .

بينما إذا قالها الشاب لواحدة معروفة – زميلته فى العمل مثلا – وكانت لاتحبه وتحب شخصاً آخر مثلا ، فإن جوابها فى هذه الحالة يكون :

–عيب ياأستاذ .. إنت فاكرنى إيه ؟

فإذا كانت علاقة الزمالة وثيقة بينهما ، وكانت –برضه– لاتحبه ، فإن جوابها فى هذه الحالة يكون :

– وأنا باعزك زى أخويا يا فلان .. خلينا إخوات أحسن .

أما أمام الشاب الذى تحبه ، فالرد على هذه العبارة يختلف . فإذا كانت العلاقة الغرامية لسة طازه ، اكتفت الفتاة بأن تغض بصرها مع احمرار فى الوجه ، زائد حركة عصبية مثل فتح شنطتها وإغلاقها بلا هدف .

وإذا كانت العلاقة العاطفية ليست جديدة ، فالرد أيضاً يختلف حسب الظروف .

فقد تمسك بيده وتسبل جفنيها وتتنهد قائلة :

– قول كمان ..

وقد تقوم بنفس الحركة – تسبيل الجفن وإمساك اليد – ثم تقول :

– ياريتنى أصدقك يا قطة ! ..

مع ملاحظة أن هذا الرد الأخير يقال فى حالتين : إذا كانت تحبه أكثر مما يحبها ، أو إذا كانت تحب فلوسه وكان هو ينتمى إلى فصيلة الحمير . والحب عبارة عن عقد بين اثنين توافقت أرادتهما على تبادل وتوريد الحب للطرف الآخر ، وبعض هذه العقود يتخذ شكل عقد الامتياز كشركات النور والمياه والترام زمان ، فيظل الشاب على علاقة بها خمس أو ست أو سبع سنوات أو أكثر لأن ظروفه العائلية –ده كلام– لاتسمح بالزواج الآن ، ولكن لابد –ده كلام برضه– أن يفعل المستحيل للزواج منها ، ومثل هذا الشاب –صاحب عقد الامتياز– إذا قال لها أحبك ، فإن رد الفعل عادة يكون حالة تخدير كاملة تصل فيها البنت إلى مرحلة انعدام الوزن ، فلاشك أن الشاب الذى يضيع من عمر فتاة خمس أو سبع سنوات لتكون وقفاً عليه هو أستاذ فى فن التخدير .

وإذا كان تعبير « أحبك » هو لبانة فى فم الرجل ، فهو ليس كذلك عند المرأة ، فالمرأة – إذا استثنينا حالة الحب الفلوسى– لاتنطق بهذا التعبير إلا وهى تعنيه غالباً .

وقد تقول الفتاة هذا التعبير للشاب –بكسر الباء وكأنها تخاطب فتاة مثلها وذلك إذا كانت تتحدث فى التليفون وحولها ناس ، كأن تقول لواحد اسمه فكرى ، باحبك يا فكرية . هنا تلاحظ أن الشاب قد انقلب إلى فتاة دون حاجة إلى دخول غرفة عمليات قصر العينى .

ومن التعبيرات الغرامية ذات الشهرة الواسعة تعبير : « قبلاتى وأشواقى » ! ..

وواضح طبعاً أنه تعبير جواباتى . والقبلات جمع قبلة . والقبلة لها ماركات كثيرة أشهرها بالطبع القبلة الغرامية .

والقبلة الغرامية تبدأ سينمائية جداً على باب الشقة من الخارج عندما يوصل الخطيب خطيبته إلى بيتها ، ثم تتحول فيما بعد إلى قبلة زوجية على باب الشقة من الداخل والزوج ذاهب إلى عمله أو عائد منه ، هذا إن حصل ! .

وتعترى القبلة فى تلك المرحلة تطورات هامة إذ تصبح روتينية مثل كلمة « سعيدة » و « باى باى » ، كما أن أداءها من الطرفين يكون غير سينمائى بالمرة ، كما أننا نلاحظ – فى هذه المرحلة غير السينمائية – أن أحمر الشفاة لا يتأثر على شفتيها لأن القبلة تنتقل عادة إلى الخد فى أخوية مزعجة ، فإذا لاحظنا أن المرأة – فى شهر العسل – تشترى الروج ليستهلكه الرجل بقبلاته – أدركنا الميزة الاقتصادية لقبلة الخد الساقعة التى توفر الكثير من أصابع الروج ، وحتى لو استمرت القبلة – فى المرحلة غير السينمائية – على الشفتين لا الخد ، فطلاء الشفتين لا يتأثر بنفس الدرجة التى يتأثر فيها مع القبلة السينمائية الحادة أيام الغرام ، فالقبلة – أيام الغرام الحامى – تكون أشبه بحادثة تصادم عنيفة ومتعمدة بين أربع شفاه وتكون الخسائر فيها زوال الطلاء الأحمر .

ولا أحد يعرف – على وجه التحديد – من الذى اخترع القبلة ، والأرجح أن الاختراع تم كما يلى : الرجل يخشى دائماً أسئلة المرأة فيما يتعلق بالمشكلة الأبدية الشهيرة : إخلاصه لها ، والأرجح أن مخترع القبلة كادت تصل به الأسئلة إلى النقطة الحرجة ، فاخترع القبلة ليسد فم المرأة فى الوقت المناسب ! ..

والقبلة الغرامية تنتقل من مكان إلى مكان على مراحل العلاقة ، فهى أيام التعارف تبدأ على اليد ، ثم تنتقل إلى الشفاه مع الخطوبة ثم فى ليلة الزفاف تنتقل إلى الجبين والعريس يزيح الطرحة عن وجه العروس ، ثم بعد مدة من الزواج تنتقل إلى رحمة الله .

○□○

ومن بين التعبيرات المتداولة فى قاموس الرجل الغرامى تعبير :

– رقبتى عشانك ياعيونى ! ..

وواضح أنه تعبير غير واقعى كاذب جملة وتفصيلا ، ومثله تعبير : عيونى لك يا حياتى ، فالرقبة عضو فى الجسم لا يمكن فكها وإعطاؤها لأحد كالعينين تماماً ، ولو افترضنا أن شخصاً نفذ هذا التعبير عملاً ، فلا أحد يعرف ما الذى يمكن أن تفعله المرأة برقبة الرجل ، فهى لا تصلح لأى استعمال ، ثم إن ظهور رقبة بنى آدم فى يد أى شخص مصيبة كبيرة تذهب به إلى محكمة الجنايات بتهمة القتل ، من هذا يتبين لنا أن المرأة التى يقال لها : رقبتى لك ، لن تجنى من هذه الرقبة – إذا أخذتها – إلا تحقيقات الشرطة والنيابة . فالذى يستفيد من الرقبة – واقعياً – هم ثلاثة أشخاص

فقط : صاحبها وهو على قيد الحياة ، والجواهرجى الذى يكسب ألوف الجنيهات من وراء المرأة فى بيع العقود ، وعشماوى سجن مصر الذى يكسب خمسة جنيهات عن كل رقبة يشنقها ! ..

ومن أشهر التعبيرات المتداولة على لسان العشاق كلمة « ليه » ومشتقاتها : ليه ده كله ، وكل ده كان ليه .. إلى آخر تلك المشتقات الشهيرة ، ولعلنا نتبين بوضوح مدى انتشار هذه التعبيرات على لسان العشاق لو ألقينا نظرة سريعة على الأغانى التى تتحدث بألسنة هؤلاء العشاق مثال ذلك : ليه تهجرنى ليه ، وكل ده كان ليه ، وازاى حبيتك انت وحبيتك إنت ليه ، وليه بيلمونى وياك فى حبى ، والحلو ليه تقلان قوى ، وليه تلاوعنى ، وليه ليه ليه ليه يا عين ليلى طال ، ومليون ليه وليه فى الأغانى ، أجوبتها سهلة ومعروفة غالباً مثل : ليه بيلمونى وياك فى حبى ، الجواب : لأنك لم تتقدم حتى الآن لطلب يدها ، لأنك تكتفى بالخروج معها كل يوم معرضاً سمعة البنت للكلام الفارغ .

ليه تهجرنى ليه دنا بحبك ، الجواب : ربما لأن واحد تانى تقدم إليها مرتبه أكبر وشكله ألطف ، أو ربما لأنك لا تغسل أسنانك ، أو ربما لأن ريحتك زى ريحة الهيبيز ، أو ربما لأنك بخيل جلدة بتفسحها كعابى على الكورنيش وكل تكاليف الفسحة قرطاس ترمس .



لست أدرى ما الذى يعجب الكثيرين فى ذلك المعتوه قيس ابن الملوح الشهير بالمجنون ! .

صحيح أنه وقف على محطة أتوبيس الحب ألف ليلة وليلة كأى راكب ينتظر أتوبيس شبرا ، ولكن الفرق بينه وبين راكب أوتوبيس شبرا أن المجنون كان يتعمد أن يفوته أوتوبيس ليلى ألف مرة ومرة ، فهو لم يبذل أى جهد ليصل إلى أمانيه ، وهو قد اكتفى بالصويت واللطم فى كل مرة يفوته فيها الأوتوبيس ، فكان يسرح فى الصحراء ليبكى وينوح ويشكو حبه لطوب الأرض ، وهو

– فى رأيى – كان فى منتهى السفالة وقلة الأدب لأنه فضحى وجرسى إذ فضح البنت فى طول البلاد وعرضها ، وهو بكلامه عنها فى مجتمع محافظ صارم التقاليد قد لطخ سمعتها عند اللى يسوى واللى مايسواش ، وهو فوق هذا كله كان صايع ، لاشغلة له ولا مشغلة ، فهو مستقطع للحب بعكس أى رجل ، فإذا كان الحب هو كل حياة المرأة فهو بعض حياة الرجل ، ذلك أن أعباء الحياة ومسئولياتها الجادة تحتل جانباً كبيراً من فكر الرجل واهتماماته ، بينما نرى ذلك المجنون قيس بن الملوح متفرغاً لحب ليلى كل الوقت ، حتى إنه كان يحتاج – فى كل ٢٤ ساعة – إلى أوفرتايم يحبها فيه كان وكان ، الأمر الذى يرجح معه أن اسمه قد وصل إلينا محرفا ، وأن اسمه الحقيقى قيس بن الملووح ، والملووح فيه هو دماغه .

فقيس إشاعة تاريخية صدقها الناس ، وأعتقد أن المسئول أو أحد المسئولين عن ترويج هذه الإشاعة هو الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب ، فبصوته أخذ يجمل لنا هذه الإشاعة ، وبموسيقاه زوقها وزينها ، فانبهرنا بقيس متقمصاً فن عبد الوهاب .

ما الذى يعجب عبد الوهاب فى قيس ؟ ..

قال لى عبد الوهاب : فعلا أنا معجب بقيس كفنان لا كعاشق ، فالحب عند قيس لم يكن غاية ، وإنما وسيلة ينفعل بها ، يحترق ، يتمزق لينتج فنا ، والفنان الأصيل هو الذى يحب فنه إلى درجة التفانى فيه ! ..

وجهة نظر وجيهة من عبد الوهاب ولكنها قابلة للمناقشة ، فكل تصرفات قيس من لطم وبكاء وصويت تدل بوضوح على أنه رجل مريض بحب التعذيب ، مصاب بماسوشية حادة ، ليلى تقول له بفرحة : قيس ابن عمى عندنا فيصرخ ، تقول له : قد تحملت فى الهوى فوق ما يحمل البشر ، فيلطم ، تقول له أحبك ، فيقلبها مناحة ، فلا مشكلة له مع ليلى إذن لأن ليلى تحبه ، المشكلة مع نفسه هو ، مع مرضه وغباوته ، وهو غبى لأنه لم يحاول حل مشكلته مع عمه – أبيها – وهو لم يحاول حل المشكلة مع عمه لأنه يبحث عن مشكلة يعيش فيها ، يبحث عن جنازة يشبع فيها لطم ، فهو نكدى ابن نكدى يتلذذ بتعذيب نفسه ، ولو كان تزوج من ليلى لكان أسعد خلق الله وهى تضربه بالشبشب على دماغه ، فهذا يتيح له فرصة ذهبية للمناحة .

وقد يقال إن الذى أحب ليلى حباً حقيقياً هو « ورد » زوجها وليس قيساً ، فإن ورد قد يبدو مثلا رائعاً من أمثلة التضحية فى الحب ، إذ تزوجها بعد ما فضحها قيس بأشعاره الغزلية فيها حتى يدفع عنها كلام الناس وهو تزوجها ولم يمسسها أبدا احتراماً منه لحبها لقيس ، وهو من فرط احترامه لهذا الحب كان يترك قيس جالساً مع ليلى قائلا لقيس : أنت حبيب القلب والزوج أنا ! .. بالذمة ده كلام ؟ ..

هل هذه تضحية – كما يصورها البعض – أم أنها لون غريب وشاذ من ألوان العك الزوجى ؟ ..

إن التضحية لها حدودها المقبولة والمعقولة ، فالحب بمعناه العام هو مشاعر عريضة تحتوى الناس جميعاً ، أما حب الجنسين فهو أنانى بطبيعته وفطرته ، لا يحتمل تدخل رجل آخر اللهم إلا إذا كان من ذوى الدم البارد أو من فصيلة التيوس ، ورجل يترك زوجته مع حبيبها قائلا : أنت حبيب القلب والزوج أنا ، لا يمكن أن يكون رجل تضحية ، بل هو رجل ضحية من ذلك النوع الذى اعتدنا ذبحه فى عيد الأضحى ، فالذى أسماه ورد ظلمه ، وإذا كان لابد من تسميته بأحد أسماء النباتات فأعتقد أن الإسم المناسب له هو بامية .

فقصة قيس وليلى هى مثل رائع لما يمكن أن يفعله الفن والفنان ، فالقصة سخيفة ، سخيفة فى واقعها ، بطلها واحد - مجنون - ومريض ، - وبنت عندها نرجسية وزوج ضاعت منه رجولة الرجال ، ولكن الفن حولها إلى أكذوبة رائعة الجمال ، فمن هذا الفسيخ صنع شوق الشربات بقدرة الفنان الخلاق وبراعته فى تجميل الواقع ، فوضع القصة فى إطار رومانسى مثير ، وخلق من قيس عاشقاً يستهوينا وهو يضع على لسانه أرق الكلام وأحلاه ، وخلق من بامية -أقصد ورد- مثلاً رائعاً ونبيلا للتضحية ، وحول القصة كلها إلى عالم وردى يتغنى به العشاق فى كل زمان ، ثم جاء محمد عبد الوهاب ليضفى بفنه مزيداً من الجمال على الأكذوبة ، وأصبح صوت قيس فى أذهاننا هو أحلى صوت لرجل ! ..

وكما اقترنت صورة قيس زمان فى أذهان الناس بصورة الفنان أحمد علام -أجمل شاب فى عصره- اقترنت صورة قيس بعد غناء أوبريت مجنون ليلى بصورة محمد عبد الوهاب روميو زمانه ، وهكذا صنع الفن والفنان صورة مزيفة وجميلة لذلك المعتوه الذى كان يهيم على وجهه فى الصحارى بذقن طولها نصف متر وثياب لا تختلف كثيراً عن ثياب رواد قهوة المجاذيب ! ..

○□○

هذه الصورة الجميلة المزيفة هى التى قد تدفع بعض القارئات إلى استنكار رأيى فى قيس .

وفى محاولة لإقناعكن -سيداتى آنساتى- خسارة الغضب من أجله ، فلا يمكن أن يكون هذا الإنسان الضعيف المتهافت رمزاً للرجل القوى المعبود الذى يستهوى المرأة ، فلا هو أدونيس فاتن النساء الذى عشقته أفروديت لوسامته وقوته ، ولا هو عنترة العبسى الفارس العربى الأسمر الذى كان يتفجر قوة ورجولة وأحب عبلة بكل كبرياء رجولته وشموخها دون أن يذرف دمعة واحدة رغم ما عاناه فى حبها من عذاب .

فلماذا الغضب من أجل قيس وهو رمز للضعف والخيبة القوية ؟ ..

يجوز -سيداتى آنساتى- أن قيس يمثل رمزاً عزيزاً لبعض النساء ، فهناك المرأة التى لا تكتمل سعادتها إلا برجلين ، رجل

تمشى هى خلفه ، ورجل يمشى خلفها ، رجل تحبه ، ورجل يرضى كبرياء أنوثتها بالبكاء والنواح ، رجل قوى يتسلط عليها ويسيطر ، ورجل ضعيف وخيبة يطلب القرب منها باللطم والدموع ، واحد تقول له أحبك ، وواحد تقول له إجرى إلعب بعيد ! وهى لا تعنى ما تقول ، فهى سعيدة به فى الواقع ، سعيدة بغباوته ، سعيدة بمذلته ، فهو بمذلته يمنحها الإحساس بعزة أنوثتها ، وقيس هو رمز لهذا العاشق المغلوب على أمره ، فهو لا يمل البكاء واللطم والصويت ، وهو لا يمل من ترديد كلمة : أحبك ، وهو لا يكف عن حديث الهيام والغرام ، وهنا يبدو قيس كرجل عظيم الميزة ، فهو رمز مستحب بالنسبة لكل زوجة أصيب زوجها بالخرس المنزلى ، فهى تتمنى أن يرمى زوجها الجريدة التى يدس فيها وجهه ، وأن يخلع تلك التكشيرة من ملامحه ، وأن ينظر إليها فى لوعة واشتياق ، كما كان ينظر قيس إلى ليلى ، وأن يقول لها فيفى بجانبى كل شىء إذن حضر ، وأن ينطلق فى كلام حلو ولذيذ لا نهاية له ، وأن يهيم على وجهه فى البيت إذا خرجت للخياطة ، وأن يمضى خلفها - إذا عادت - من غرفة إلى غرفة ومن الصالة إلى المطبخ ، ولسانه مشبوك بكلمة أحبك ..

○□○

ويبقى سؤال : إذا كان قيس على هذه الصفات من العته والجنون والغباوة .. فكيف أحبته ليلى ؟

للرد على هذا نقول : إن دوافع الحب تختلف ، فهناك الفتاة التى

تحب فتاها لله فى لله ، وهناك التى تحب فتاها لأن أخلاقه عالية ، وهناك التى تحب فتاها لأن عمارته عالية ، وأحيانا تتدخل المرسيدس والبويك لتجعل الحب صادقاً وعظيماً ..

ولا يمكن بالطبع القول بأن قيس كان عنده مرسيدس أو تندبيرد . الثابت أنه كان عنده مركوب فى رجله عامل ٢٠ ألف كيلو مشياً فى الصحراء ، وهنا قد يتبادر إلى الذهن أن ليلى أحبته لله فى لله ، وهذا غير صحيح .

الصحيح أن ليلى أحبت فيه تمجيده لجمالها فقد كان قيس هو أول محطة إذاعة فى التاريخ إذ كان يسرح فى طول البلاد وعرضها يروى عن ليلى ومفاتنها حتى أصبحت ليلى فى زمانها أشهر من ليلى مراد ، وإذا كان أبوها اعتبر هذا فضيحة فمن وجهة نظر ليلى المسألة عكسية ، فما فعله قيس من التشبيب بها جعلها تزهو وتتيه بأنوثتها وجمالها ، قيس هو الذى صنع منها بنتا مرموقة الإسم ومشهورة فى زمن لم يكن فيه سينما ولا تليفزيون ، فما أغناها عن شهرة السينما والتليفزيون وعندها محطة إذاعة تسبح بمفاتنها وتذكر اسمها ليل نهار ، ففى كل مكان كان المجنون يتوقف ليقول : هنا محطة إذاعة قيس .. سيداتى سادتى إليكم هذه القصيدة عن ليلى بنت عمى ، ثم يلقى القصيدة بعد حذف اللحن المميز : بكاؤه .

ولا شك أن ليلى قد سعدت بهذا المجد وأشبعت بقصائد قيس كل ميولها النرجسية ، وقد بلغ من خبثها أنها كانت تستثيره ليقول

فيها المزيد من الشعر إذ كانت تقول له من وقت لآخر : إنت ما بتحبنيش ، والدليل على ذلك شعر قيس الذى يقول فيه :

وتزعـــم ليلى أننـــى لا أحبها
بلى والليالى العشر والشفع والوتر
بلى والذى ناجى من الطور عبده
بلى والذى لا يعلم الغيب غيره
بقدرته تجرى المراكب فى البحر

.. فشىء طبيعى بعد هذا كله أن تحب ليلى فى قيس تمجيده المستمر لجمالها وأنوثتها ، وأن تقول له من وقت لآخر إنت ما بتحبنيش فيقول لها : نقول كان ..

○□○

فأنا أختلف مع الذين يقولون إن ليلى العامرية كانت بنتاً بريئة كالقطة المغمضة ، أو كانت كالبنت البريئة المظلومة فى أفلامنا إياها ، فالأرجح - فى تصورى - أن ملامح وجهها كانت خالية من كل براءة ، زاخرة بالدهاء والمكر والتسلط وحب السيطرة ، فقد وضح بعد زواجها من الأستاذ بامية - ورد - أنها ست قادرة وأن ورد أصبح شخشيخة فى يدها ، حا يا ورد يمشى ورد ، يمينك يا ورد : يروح يمين ، وليس أدل على دهائها القادر من أنها تسلطت على ورد إلى حد أن مواعيدها الغرامية مع قيس كانت تتم فى قلب بيت الزوجية ، ولا أحد يدرى على وجه التحديد كيف روضت مدام ورد زوجها على هذه الخيبة التقيلة فى بداية الزواج ، يجوز أنها

أقنعته بفوائد رياضة المشى الانفرادى خمس ساعات فى اليوم تقضيها مع قيس ، على أى حال لا تهم البداية ، فقد مضت قصة هذا الثلاثى المرح - ليلى وقيس وورد - لتقول لنا إن هذا الورد كان يترك البيت من تلقاء نفسه أول مايشرف قيس البيت !

ومهما قيل من أن ورد كان يعشق ليلى عشقاً جنونياً ، ومهما قيل من أنه سمح لزوجته باللقاءات الغرامية فى قلب بيته تقديساً منه لحب المجنون لها ، فإن هذا التصرف من جانب ورد لا تفسير له إلا أنه رجل مقهور من زوجته ، ومضروب على دماغه بالشبشب ، أو رجل أهبل استطاعت هى أن تقنعه بهذا العك .

وقبل أن تصبح ليلى مدام ورد ، كان قيس يتردد على بيت عمه - والدها - ليراها للحظات منتحلاً الحجج والمعاذير لحضوره لأن عمه كان دمه حامى وراجل عنده نخوة ، وفى هذه التماحيك التى كان يلجأ إليها قيس يقول شوق على لسانه :

كم جئت ليلى بأسبـــاب ملفقـــة
ما كان أكثر أسبـــابى وعــــلاتى

فإذا كانت لقاءاته بليلى - بعد الزواج - قد أصبحت سهلة وميسورة ، وآخر سبهللة وفى قلب بيت الزوجية ، فإن هذا يوضح لنا كيف كان أبوها أبو دم حامى حاكمها وشاكمها ، وكيف تسلطت بعد ذلك بدهائها ومكرها على ورد حتى حولته إلى معزة .

ثم إنه واضح جداً من واقع حكاية ليلى أنها كانت تتسم بروح الاستهتار واللامبالاة ، ولو عاشت فى عصرنا لرأيناها تمشى بالميكروجيب فى شوارع القاهرة ، فهى من ذلك الطراز الذى يميل إلى إثارة اهتمام الناس به والحديث عنه ، فقد فضحها قيس وجعل سمعتها مضغة فى الأفواه ، ومع ذلك – ومن واقع قصتها – لا نرى منها كلمة عتاب أو توبيخ لقيس ، فهى سعيد بالفضيحة والجرسة ، وهى تشجعه على ذلك مدفوعة بميولها الاستعراضية الحادة ، مزهوة بما يردده المجنون عن طعامتها وحلاوتها ، ثم نراها فى زواجها أشد استهتاراً ، فهى فى قلب البيت مع قيس ، وورد قاعد على باب البيت يقزقز لب ..

غير أننى – بعد هذا كله – كثيراً ما أشك فى أن قيس كان مجنوناً ، بل كان فى منتهى اللؤم ، إذ ساق الهبالة على الشيطنة ، وهرب من الزواج بليلى ! ..



من الثابت تاريخياً أن والدنا آدم لم يقيد اسمه أبداً فى أى مكتب عمل ، فلا عمره لبس أوفارول ووقف أمام مكنة ولا عمره زرع أو قلع أو انشغل مع الأنفار فى نقاوة الدودة ، ولم يعرف عنه أنه وقع ذات يوم فى ساعة حضور وانصراف ، أو جلس على مكتب بتليفون ليقول لكل متردد عليه فوت علينا بكره ، ولا هو عاد مهموماً ذات يوم ليقول لحواء إن الترقية طارت منى لواحد قريب المدير ، ولا هو جلس أمامها ساعة ورأسه بين يديه يلعن سنسفيل مديره الحمار .

كان أبونا العزيز خالى شغل ، خالى بال ، عاش حياة أولاد الذوات رغم أنه لا ينتمى إلى أى عيلة ذواتى أو غير ذواتى ، ينهض من نومه فى الضحى ويفتح عينيه على روائع الجنة ، النهار طويل أمامه هو والسيدة حواء ، والاثنان لا شغلة ولا مشغلة .

من الطبيعى إذن أن يقضيا الوقت فى التجول والفسحة فى الجنة وهما يتبادلان الحديث .

غير أن الحديث – بينهما – كان بالتأكيد مشكلة !

فالجنة ليس فيها ناس ولا فيها جيران يحلو مَسك سيرتهم ، ولا مجال بالطبع لأى حديث عن فراخ الجمعية أو شارع الشوارلى أو عديلة الخياطة أو عمايل البنت الشغالة أو تمثيلية السهرة النكد فى التليفزيون .. أو .. أو إلى آخره .

إذن فالمجال الوحيد للحديث هو الكلام فى الحب ، باحبك يا أدومة – دلع آدم – وباحبك ياحوحا – دلع حواء – .. ودمتم بخير .

ولابد أن والدنا آدم كان سعيداً بهذه اللعبة الظريفة – لعبة الحب طول الوقت – إذ ملأت عليه فراغ وقته بدلاً من أن يجلس فى ملل يطرقع صوابعه .

ولأن آدم عوّد حواء على أن يحبها طول النهار وطول الليل ، فقد أصبح الحب محور حياتها وتفكيرها ، وعن حواء ورثت بناتها تلك النزعة ، فأصبحت تطالب الرجل بأن يردد لها كلمة أحبك

كل نصف ساعة ، أو كل ربع ساعة ، أو كل خمس دقائق إن أمكن ، وإن أمكن يحول لسانه إلى اسطوانة مشروخة وقفت الإبرة فيها على كلمة : أحبك .. أحبك .. أحبك .. أحبك .

ولكن ذرية آدم – من الرجال – اختلفت ظروفها تماماً عن ظروف الوالد المبجل الذى عاش فى الجنة خالى شغل ، إذ كان على أولاد آدم أن يدوخوا فى الأرض السبع دوخات فى عمل وكد بحثاً عن لقمة العيش ، ومن هنا انكمش عندهم الوقت المخصص للحب ، كما انكمشت اهتماماتهم بالحب نفسه لتفسح مكاناً لمسئوليات الحياة .

غير أن المرأة التى ظلت عصوراً طويلة تلازم البيت ، استمرت عندها حالة الفراغ وطرقعة الصوابع وخلو البال ، مما جعل اهتماماتها تظل مركزة فى الحب طول الوقت .

ومن هنا نشأ الخلاف الأبدى بينها وبين الرجل وهو أنه يفكر فى مسئولياته أكثر مما يفكر فى حلاوتها وطعامتها .

ولكن ذكاء المرأة الذى هو فى خدمتها دائماً ، استطاع أن يبتدع الأساليب والحيل الذكية التى ترغم الرجل على التفكير فيها طول الوقت ، فبدأت تلك الأساليب باختراع نسائى اسمه التمنع ، حيث تنظر بمقتضاه إلى الرجل من فوق لتحت نظرة استصغار ترجمتها بالعربى : سم يلهفك ، ولما كان الرجل أهبل وعبيط ومغرور بشدة ، فأول ما يتراءى لدماغه الصبيانى بعد هذه النظرة

اللى مش ولا بد منها هو أن يمرغ مناخيرها فى الأرض بأن يوقعها فى شراكه ، وهكذا يظل يجرى خلفها لاهثاً وهى شغله الشاغل فى البيت والغيط ، حتى إذا بدت منها ظلال ابتسامة ، نسى رغبته فى تمريغ مناخيرها فى الأرض ، وبات الليل مفتوح العينين يحلم بظل الابتسامة التى تبدت على شفتيها ، ثم فى اليوم التالى يكتشف أنها كانت تبتسم لابن الجيران .

فالغيرة أسلوب آخر من اختراع حواء تهدف بها إلى أن يكون مشغول الفكر بها ويحبها كل الوقت .

ومن زمان ، وضعت المرأة للحب طقوساً وتقاليد لكى ترغم الرجل على أن يحبها ويفكر فيها أربعا وعشرين ساعة فى اليوم .

مثلاً : كان على العاشق الأوربى فى العصور الوسطى أن يقف بالجيتار تحت شرفة المحبوبة ويغنى لها : ميته أشوفك أشوفك يا غايب عن عينى ، وذلك يقتضى منه بالطبع أن يتعلم العزف على الجيتار قبل البدء فى إجراءات الحب ، وعملية تعلم العزف على الجيتار ، للتعبير عن الحب ، هى فى حد ذاتها مشغولية بالحبيبة ، فإذا أتقن العزف ، فإن عليه أن يحفظ أكبر كمية ممكنة من الأشعار والأغانى المنتقاة بعناية ليغازل بها البنت من تحت الشرفة ، وتلك مشغولية أخرى تدل على تفكيره المستمر فى الأمورة .

ولما كان الجيتار هو إحدى ضرورات التعبير عن الحب ، فإن عليه صيانة هذا الجيتار بتلميعه وتنظيفه وتجديد أوتاره حتى لا يقع

فى حيص بيص إذا انقطع منه وتر وهو مندمج فى الغناء ، وبغض النظر عن هذه المشغولية بصيانة ذلك الجيتار الغرامى التى هى - فى الحقيقة - مشغولية بحبيبة الروح والتفكير المستمر فيها ، فإن على هذا العاشق المعذب أن يجلس فى بيته منتظراً والانتظار مر ، وهو لا ينتظر الحبيبة طبعاً ، إنما ينتظر أن تخف الحركة فى الشارع مع منتصف الليل ، فيخرج من باب البيت وهو يتلفت فى حذر كأى واحد حرامى ، ثم يعبر الشارع بسرعة كالشبح ، ثم يمشى جنب الحيط حتى يقف تحت شرفتها ويبدأ تواشيحه الغرامية تحت الثلج والمطر .. إلى أن يصاب بالالتهاب الرئوى !

ومن زمان أيضاً والأغانى عندنا تعبر عن ثمرات جهود حواء فى إرغام الرجل على التفكير فيها وفى حبها ٢٤ ساعة ، فمن أغانى زمان الشهيرة أغنية تقول : ح اعملك حجاب .. على ورق الخيار .. أسهرك بالليل .. وأجننك بالنهار !

وواضح طبعاً - من هذه الكلمات - أنها تسعى إلى أن يحبها طول الوقت بذلك الحجاب الذى هو على ورق الخيار .

وأغانى أخرى تقول : اللى حيرنى واللى سهرنى واللى فاتنى فى حال .. نام وسهرنى ولا فاكرنى ولا موش ع البال ..

وواضح بالطبع من الكلمات أنه فى حالة «لطف» أو حالة انعدام وزن أوصلته إليها رغبة حواء الذكية فى أن يحبها نهاراً ، وليلاً جالساً فى السرير يكلم نفسه كالعبيط

وقصص الحب التاريخية الشهيرة تستميل المرأة دائماً وتستهويها وتثير تنهداتها لأنها تجد فى بطل كل قصة الرجل الذى يرضى مشاعرها،الرجل المتفرغ للحب طول الوقت ، لا شغلة له ولا مشغلة إلا أن يحب فى اليوم أربعا وعشرين ساعة لأنه صايع وعواطلى ، ففى قصة قيس وليلى نجد أن قيس خالى شغل ، وفى قصة روميو وجولييت نجد أن روميو ابن ذوات من العاطلين بالوراثة ، وفى قصة كليوباترا نجد أن مارك أنطونيو تحول من قائد رومانى إلى صايع رومانى .

.. ولكن هذا الخلاف بين الرجل والمرأة فى تلك النظرة التفرغية إلى الحب بدأ يختفى ، وسوف يختفى تماماً باختفاء الحب من الدنيا ، فالحب قد بدأ ينقرض من العالم ليتجه نحو مقره الأخير ، ولا شك أن ذلك الحب الذى عذب البشرية وأسعدها سوف يصبح – فى عصر قريب – نكتة لطيفة تتندر علينا بها الأجيال المقبلة .

الدليل على ذلك أنك لو حكيت الآن قصة روميو وجولييت لأى شاب أوربى فإنه يفطس من الضحك ، ولن يثير ضحكه فى القصة إلا تفكيره بمفهوم عصره الفضائى .

ومن جانب آخر لو أن روميو وجولييت عاشا فى عصر الفضاء لرأينا روميو ولد خنفس أو هيبز وجولييت من الهيبز مثله ، فى شنطتها حبوب منع الحمل .

فأى مشكلة لروميو وجولييت بعد ذلك ؟؟

ولا حاجة طبعاً !

وإذا كانت مشكلة روميو وجولييت قد هزت الملايين على مر الزمان والأجيال وإذا كان شكسبير قد خلدها بمسرحية ووضع فيها تشايكوفيسكى سيمفونية من أروع سيمفونياته ، فإن هذا كله لا يعنى الأوربى المعاصر ، فالقصة كلها – بمفهوم جيله – نادرة مضحكة كنوادر جحا ، وإذا كان هذا هو مقياس شباب العصر ، فما بالك بالعصر القادم وما بعده ؟

فالحب إذن يسير نحو مصيره المحتوم إلى القرافة التى يدفن فيها التطور كل نكت الأجيال القديمة . ولعل الدليل على أن الحب يتدهور على مر الزمن هو أن الإنسانية – حتى فى عصورها الحديثة والقريبة – لا تزال تتغنى بقصص الحب التقليدية التى مر عليها قرون كروميو وجولييت وقيس وليلى وكليوباترا وأنطونيو ، لا تزال يلوكها الفن فى المسرح أو السينما أو الكتب ، واجترار هذه القصص فى كل عصر – رغم قدمها – معناه أن العالم الحديث أفلس من قصة حب محترمة . فالأرجح أن الحب العاطفى بمفهومه القديم قد بدأ ينقرض ..

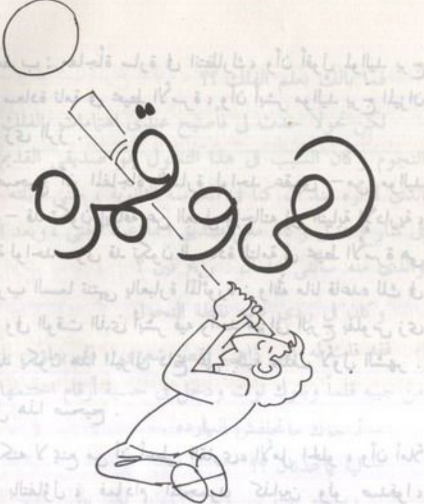
زمان مثلاً كان الشاب – بعد تخرجه – يتزوج من حبيبة القلب التى ربطه بها الحب ، أو يبحث عن عروسة مواصفاتها كذا وكيت ، أما اليوم فإنه يبحث عن البنت التى تعمل حتى ولو

كانت فى شكل أم سحلول ، فهو يريد زوجة تشاركه المسئولية وتحمل معه الهم ، ومن فضائل الزوجة العاملة أن جانباً من تفكيرها ينصرف إلى مسئولياتها فى العمل ، ولهذا فهى لا تفكر فى الحب كل الوقت وهذا ما يطلبه الرجل .

ما معنى أن يبحث الشاب الراغب فى الزواج عن فتاة تعمل ؟

معناه أن الحب فى عصرنا قد أدركته الشيخوخة وتخلعت أسنانه وتقوس ظهره ولم يعد قادراً على أن يكون المحرك الأول ، بل تراجع إلى الخلف لتتقدم عليه اعتبارات عديدة أخرى فرضها عصر الترف الحضارى الذى نعيشه، وعصر الترف الحضارى لا يعرف إلا لغة الأرقام ، الجمع والطرح والضرب ، والعروسة بتاخد مرتب كام والعريس اسم النبى حارسه عنده مرسيدس جاز ولا سبرتو ، ولهذا لم يعد غريباً أن تقرأ ذلك الإعلان لمزارع انجليزى يقول فيه : مزارع عمره ٢٨ سنة وسيم . ظريف لطيف . يقدس الحياة الزوجية ويرغب فى الزواج من سيدة مزارعة عندها محراث . الرجا إرسال صورة المحراث ! .. كذلك ليس غريباً ولا مدهشاً أن تسمع عن تلك البنت التى تنهدت قائلة فى أسى : كلما أردت أن أتزوج شاباً من أجل الحب اكتشفت أنه فقران ! ..

***



أعترف أننى لا أفهم شيئاً مطلقاً فى علم الفلك ، فكل معلوماتى عن هذا العلم تنحصر فى أن بالقاهرة شارعاً اسمه شارع الفلكى .

كذلك لا أفهم شيئاً فى النجوم والتنجيم وقراءة الطالع غير أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأننى اشتغلت منجماً ذات يوم ، إذ كنت أحرر من عشر سنوات باب بختك هذا الأسبوع .

وفى كتابة باب البخت لم أكن أشتغل بالتنجيم قدر ما كنت أحاول بث التفاؤل فى نفوس قراء البخت ، فما دامت المسألة كذب المنجمون ولو صدقوا ، فما الذى يمنعنى من أن أقول لمواليد

برج العقرب : مفاجأة سارة فى انتظارك ، وأن أقول لمواليد برج الحوت سعادة تامة فى محيط الأسرة ، وأن أبشر مواليد برج الميزان بفلوس زى الرز .

وصحيح أن المفاجأة السارة لواحد عقربى – من مواليد العقرب – قد تكون إيقافه عن العمل وإحالته إلى النيابة الإدارية ، وبالنسبة لواحد حوتى قد تكون السعادة التامة فى محيط الأسرة هى خناقة لرب السما تنتهى بالعبارة المأثورة : والله مانا قاعده لك فى البيت ، وفى الوقت الذى أبشر فيه واحد ميزانى البرج بفلوس زى الرز ، قد يكون هذا الميزانى دايخ على جنيه سلف لأول الشهر .

كل هذا صحيح .

ولكنه لا يمنع من أن أعطى القارىء الأمل الحلو ، وأن أملأ صدره بالتفاؤل ، فما دام المنجمون كذابين ولو صدقوا ، وما دامت المسألة مفترضاً فيها الكذب فى النهاية ، أليس هذا إذن أفضل من أن أقول للقارىء : مصيبة محترمة فى انتظارك أو ضائقة مالية تنتهى بفضيحتك والحجز على هدومك ؟؟

تلك كانت علاقاتى بالنجوم والتنجيم ذات فترة ، فلا أنا فلكى . ولا أفهم فى البروج والكواكب ، ولا أميل إلى أى علم فيه أرقام ، فبسبب علم الحساب قضيت طفولة سعيدة جداً كلها ضرب فى ضرب ، وعندما كان المدرس الخصوصى يعلن أننى قد توصلت بقدرة قادر إلى حل مسألة جبر ، كانت أمى تقيم ليلة لأهل الله !

فما بالك بعلم الفلك ؟؟

لكن تحولا حدث لى فأصبح عندى اهتمامات بالفلك ومسار النجوم وكان السبب فى هذا التحول هو صديقى القديم عدنان الذى لم أره منذ أن كنا فى المدرسة الثانوية ، حتى قابلته مصادفة فى شارع عدلى وكان معى صديق اسمه عبد الغنى ، وبعد السلام والذى منه سألنى عدنان : رايح فين ؟

وكان فى ردى عليه نقطة التحول .

فقد قلت له إننى ذاهب لقص شعرى ، فلم يعلق ، بل أخرج من جيبه قلماً وبلوك نوت ودخل فى حسبة أرقام اختتمها قائلا :

– أرجوك ما تحلقش النهارده .

– ليهْ يا عدنان ؟؟

– الحلاقة النهارده غير مستحبة لأن القمر مش فى برج الحوت .

وانطلق عدنان يتكلم كلاماً فلكياً لم أفهم منه شيئاً إلا عبارة « المنزلة القمرية » وإننى إذا قصصت شعرى اليوم جائز تحصل مصيبة ، وعاد يرجونى كما لو كان يرجونى ألا ألقى بنفسى تحت عجل المترو ! . .

واستطرد عدنان يشرح لنا فى إسهاب كيف أن الكواكب والنجوم تسيطر على أعمالنا من حيث التوفيق أو عدم التوفيق ، وكيف أن الكواكب تؤثر على حياتنا منذ لحظة الميلاد الأولى ،

فمن ولد وكوكب المريخ طالعه ، فلا بد أن مهنته ستكون متصلة بالنار والدم ، ومن كان طالعه الزهرة أصبح مطرباً أو موسيقاراً أو عازفاً أو رساماً ، أما عطارد فهو كوكب الفلاسفة والأدباء .

وأبدى صديقى عبد الغنى اهتماماً خاصاً بكلام عدنان ، وقال لعدنان إنه ذاهب إلى موعد مع خطيبته ، فعاد عدنان يخرج القلم والبلوك نوت ليحسب الحسبة ، ثم انتفض – فى كلمات مخلصة – يطلب من صديقى عبد الغنى ألا يذهب لمقابلة خطيبته لأن القمر فى منزلة أسمها بطين !

ولم يذهب صديقى لمقابلة خطيبته ..

ولم أذهب لقص شعرى ! ..

وأعترف أن حديث عدنان استهوانى كما استهوى صديقى أكثر ، فأصبح على صلة مستمرة به .

– مش أحلق بقى يا عدنان ؟؟

ورد فى التليفون : أرجوك مش دلوقت .

– ياعدنان شعرى بقى زى الخنافس .

– ولو .. فهذا أهون من أن تقع مصيبة .

ومرت أيام أخرى لأخبر عدنان أن شعرى قد زحف إلى عمودى الفقرى وأخشى أن يستمر فى الزحف عليه كتكعيبة العنب ، ولكن عدنان أصر ألا أقص شعرى إلا إذا دخل القمر فى برج الحوت ، ويصبح –أى القمر– فى منزلة فلكية اسمها أخبية .

– اسمها إيه ؟؟

– أخبيـة .

– وأخبية دى فين .. بعيدة ؟!

ولم أفهم شيئاً من شرحه إلا أن القمر سيكون فى برج الحوت وأخبية هذه بعد أسبوع وعندئذ يمكننى أن أذهب إلى الحلاق !

ولم يكن ممكناً أن أنتظر أسبوعاً آخر وإلا طلب منى الحلاق أن ألبس مايوه ليضع الفوطة حول وسطى لا حول عنقى حتى يقص الشعر الذى سرح على العمود الفقرى ، وما إن انتهى الحلاق من مهمته حتى شعرت بصداع رهيب لم تفلح معه أى مسكنات !

ورويت لعبد الغنى حكاية الصداع الذى استمر يومين ، فروى لى خناقته مع خطيبته عندما ذهب إليها رغم تحذير عدنان ، وهكذا بدا عدنان لعبد الغنى فلكياً خطيراً يقرأ الطالع من النجوم ويتنبأ بكل ما يحدث ، فتوثقت علاقته بعدنان ، وظل بعد ذلك يسأله كل يوم :

– مش آن الأوان أقابلها يا عدنان ؟

– أتوسل إليك لأ يا عبد الغنى .

– وحشتنى ، وكل يوم أتحجج لها بالشغل .

– ولو .. انتظر لما يدخل القمر فى برج الحوت ويصبح فى منزلة قمرية اسمها عواء ..

– وامتى بإذن الله يصبح فى عواء دى؟

- بعد يومين .

.. وبعد يومين ذهب عبد الغنى لخطيبته ، وعقب لقائه معها أصبح عدنان بالنسبة لعبد الغنى مخلوقاً أسطورياً باهراً ، فإن عبد الغنى - كما روى وهو مبهوت - لم ير فى حياته حبا دافقا من خطيبته كالذى رآه فى ذلك اليوم ، بل إن عبد الغنى كان مذهولاً من تلك العبارة التى لم يكن يتوقعها أبداً من خطيبته ذات الشخصية العنيدة القوية ، إذ ألقت برأسها فوق صدره وقالت له رداً على عتاب منه : أنا جاريتك يا سيدى أنا !

- تصور تقوللى أنا جاريتك يا سيدى أنا ؟؟ والله مانا مصدق لغاية دلوقت إنها تقول كلمة زى دى !

هكذا ازدادت قيمة عدنان عند عبد الغنى ، وراح يشكره على ما أشار به من نصائح فلكية ثبت صدقها تماماً ، فانطلق عدنان يكلمه كلاماً طويلاً عن مسار الأبراج ومسار القمر وعلاقة هذا كله بالتوفيق والتوافق العاطفى ، واختتم كلامه الفلكى بألا يتصرف مع خطيبته أى تصرف إلا بعد استشارته .

- حاضر يا عدنان .

ويدق التليفون فى مكتب عبد الغنى ..

ألو .. غنغن يا حبيبى فيه فيلم جنان فى سينما كايرو .. إيه رأيك نروحه فى حفلة ٦ ..

ويتعلل عبد الغنى بأنه سوف يسأل المدير العام إن كان يحتاجه فى الساعة السادسة أم لا .. ويسرع بالاتصال بعدنان :

- أقدر أروح معاها سينما النهارده ؟

ويخرج عدنان القلم والبلوك نوت ويحسب حسبته الفلكية المعقدة ثم يقول لعبد الغنى :

- كوكب الزهرة النهارده يربع كوكب المشترى والمنزلة القمرية زفت .

- يا عدنان اتكلم بالعربى .. يعنى إيه ؟

- لما الزهرة تربع المشترى تحصل فضائح أخلاقية .

- يعنى إيه يا عدنان ؟

- يعنى أوع تروح واسمع كلامى .

هنا يتصل عبد الغنى بخطيبته زاعماً أن السيد المدير العام عنده لجنة من الساعة الخامسة ولا بد أن يكون معه ، خافيا عنها السبب الحقيقى وهو أن هذه اللجنة لجنة ثنائية سيجتمع فيها المشترى والزهرة لإحداث فضائح أخلاقية فى الأرض اليوم ..

- وبعدين يا عبد الغنى فى حكاية المدير العام بتاعك ده ؟

- معلهش يا روحى .. أرجوك تقدرى موقفى .

.. بعد أيام أذن عدنان لعبد الغنى بلقاء خطيبته لأن القمر فى برج الميزان وفى منزلة قمرية عال العال هى « عواء » - ده كلام عدنان - وفى ذلك اللقاء ، قال عبد الغنى لخطيبته إنه حجز لها طقم ملابس نوم مدهش فى أحد محلات شارع الشواربى وما عليها

إلا أن تذهب وتتسلمه فى الصباح إن أعجبها وطارت الحبوبة فرحا بطقم ملابس النوم ..

ولكن عدنان ليلتها علم ذلك بعد اللقاء .، فأخرج القلم والبلوك نوت وحسب حسبته ثم صرخ فى عصبية ..

– إيه اللى خلاك تعمل كده من غير ما تقوللى .

– خـــير ؟؟

– القمر الليلة فى برج السنبلة وفى منزلة قمرية اسمها صرفة ودى منزلة هباب ..

– يعنى إيه يا عدنان ..

– أوع خطيبتك تروح تاخد طقم النوم .

– ليـــه ؟؟

– ده شؤم فظيع عليها وعليك لو أخذت الهدوم من المحل بكره ..

– والعمــــل ؟

– مفيش عمل .. إسمع كلامى لتندم ..

– لكن أنا قلت لها خلاص .. مايصحش أطلع قدامها ندل .

– ندل ندل .. بس تسلم انت وهى من الشر .. وتردد عبد الغنى طويلا ، ولم يجرؤ فى النهاية على أن يقول لخطيبته شيئاً ، ولم ينم طول الليل خوفاً من طقم النوم ، ولعن نفسه ألف لعنة لأنه لم يستشر عدنان ، وذهبت خطيبته وأخذت طقم ملابس النوم .

وفى اليوم التالى نقلت إلى دمنهور فى حركة التنقلات ، ولطم عبد الغنى ويا ريت اللى جرى ما كان .

وراح يبذل محاولات مستميتة لإعادتها إلى القاهرة ، وفى

نفس الوقت ازداد إيمانا بعدنان الذى تسلط عليه تسلطا رهيبا وأصبح يحتمل عصبيته وصياحه الجنونى إكراما لكرامته ، وتطور الأمر فأصبح عدنان يتصل به يومياً ، إذ يرن جرس التليفون فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل :

– يا عبد الغنى القمر فى برج الجوزاء وفى منزلة قمرية اسمها دبران ..

– يعنى إيه ؟

– بتعمل إيه الأول ؟؟

– نايم طبعاً ..

– لأ .. قوم أحفر بير .

– أحفر بير ؟ .. بير إيه ؟؟

– لما القمر يكون فى الوضع الفلكى ده يبقى حفر البير فيه خير كتير .. قوم بسرعة واحفر بير فى حوش العمارة .

– بمناسبة إيه أحفر بير فى حوش العمارة ..

– يا جاهل دى فرصة ذهبية ما تضيعهاش .

– هاهاها .. ليه ح يطلع بترول ؟

– انت بتهزر ؟؟ آدى جزاء اللى عايز لكم الخير جاتكوا البلاوى ..

وأغلق عدنان السماعة فى عصبية .

وجاءنى عبد الغنى يرجو أن أتوسط حتى يصفح عنه عدنان ويرضى ، ولكن عدنان رفض ، واستلمنى أنا بعد أن قاطع عبد الغنى إذ أصبح التليفون يدق لأسمع عدنان يقول :

– غداً القمر يربع المشترى والزهرة تثلث المشترى .

- مش فاهم حاجة .
- هذا الوضع الفلكى مناسب جداً للغزل .
- غزل ؟؟ غزل مين ؟
- أى واحدة عايزها تحبك ..

ويغضب عدنان لأنى أضحك لكلامه ، وجاداً ينطلق فى كلام عصبى كيف أن التقرب إلى المرأة – مع هذا الوضع الفلكى – مقبول جداً من جانبها ويحرز نتائج باهرة لا يمكن الحصول عليها فى الأوضاع الفلكية الأخرى .

وعلمتنى عصبية عدنان أن أعده بانتهاز كل فرصة فلكية يشير بها حتى أتجنب صياحه المجنون ..

تقرب من الحسناوات .. حاضر ، عطارد مقارن للمريخ إياك تكذب وإلا وقعت فى بلوى ، حاضر ، القمر يقابل المريخ فابتعد عن أى عسكرى شرطة وإلا جرك إلى القسم وحطك فى التخشيبة .. ليه يا عدنان ؟ مفيش ليه .. اللى باقوله تعمله .. حاضر ، القمر النهارده فى منزلة قمرية اسمها بلده داخل برج الجدى وهذه فرصة لكى تدعو على أعدائك ربنا ياخدهم .. حاضر ..

وإذا كانت مسألة حفر البير فى حوش العمارة قد شككتنى فى دماغ عدنان ، فقد حيرنى ما قاله عبد الغنى من أنه سأل فلكياً معروفاً فى حقيقة ما قاله عدنان ، فأيد الفلكى المعروف الكثير من أقواله ، واتصلت بالفلكى المعروف أسأله : ما هو أنسب عمل يقوم به الإنسان عندما يربع القمر المشترى وتثلث الزهرة المشترى ؟؟

فرد بنفس كلام عدنان : هذه فرصة عظيمة للتقرب من المرأة . ستجد القبول حتماً .. موفق ياأخى بإذن الله !

شىء غريب !

ولكن عبد الغنى لم يعتبره شيئاً غريباً بالمرة ، فهو مؤمن إيماناً أعمى بعدنان ، وظل يسعى حتى صفح عنه عدنان ، وعادت المياه إلى مجاريها .

- ألو .. يا عبد الغنى .
- أوامرك ..
- القمر فى منزلة اسمها ذابح داخل برج الدلو ..
- عايزنى أعمل إيه ؟؟
- .. هذا أحسن وقت ترفع فيه قضية ح تكسبها مليون فى المية .
- أرفع قضية على مين ؟
- موش شغلى .. المهم إنك ترفع قضية .
- حاضر ح فكر فى حد أرفع عليه قضية .

ورفع عبد الغنى قضية على صاحب العمارة لأن البانيو من النوع الفالصو مع إن الشقة لوكس .

ثم تطور الأمر فامتد نفوذ عدنان إلى الطالع الفلكى لخطيبة عبد الغنى ..

- خطيبتك بكره ماتخرجش من باب البيت .
- ليـه ؟
- القمر فى منزلة دبران داخل برج الجوزاء .
- يعنى إيه ؟

– لو خرجت من البيت ح تحصل مصيبة .

ويدق جرس التليفون عند خطيبته :

– حياتى أنا .. أوعى تخرجى من البيت بكره .

– ليـه ؟؟ خـير ؟

– ما تتخضيش كده .. المسألة ومافيها إن ظهر واحد سفاح بيخطف الستات من الشوارع ..

– يا مامى ..

– أيوه يا روحى .. خليكى فى البيت وحياة غلاوتى .

– لكن أنا عندى شغل مهم بكرة .. فوت الصبح وصلنى وترجعنى الضهر البيت .

– لأ ..

– لأ ليـه ؟؟

– بالعربى كده القمر فى دبران .

– إه ؟؟

– القمر فى دبران والبلوى السوده إنه داخل برج الجوزاء ..

– عبد الغنى .. إنت شارب حاجه ؟

– أبداً يا روحى ..

– أمال بتخرف تقول إيه ؟؟

– ده كلام علمى .. صدقينى أتوسل إليكى .

– التليفون ما ينفعش .. تعال خلينى أعرف إيه الحكاية ..

– ما أقدرش آجى .

– التليفون ما ينفعش .. تعال خلينى أعرف إيه الحكاية ..

– ليـه ؟؟

– بصراحة كده المريخ النهارده يربع زحل ولو جيت موش كويس .

– انت بتقول إيه ؟؟ ..

– زى النهارده اتقتل كسرى أنوشروان ، نبعد عن الشر أحسن .

– كسرى إيه وأنوشروان إيه ؟ .. انت موش طبيعى أبداً ..

– أوه ! مش عايز كلام كتير .. بكره ماتخرجيش يعنى ماتخرجيش ..

وانتهت المكالمة لتعقبها أزمة شديدة ، إذ اتهمته أنه بدأ يسكر طينة فى عز النهار ..

وتدخل أبوها .. وفض النزاع .. وقال لهما إن كل المشاكل التى تثور بينهما سوف تختفى عند الزواج ، والزواج – كما سبق الاتفاق – بعد أسبوعين .

وأسرع عبد الغنى إلى عدنان ..

وقال له عدنان إن يوم الخميس الذى يوافق يوم زواجه سوف يكون القمر فى منزلة داخل برج السنبلة وهو وضع فلكى هباب وطين على الزواج ..

وذهب إلى أبيها .

– أرجوك يا عمى بلاش الخميس ده ..

– زى بعضه الخميس اللى بعده .

– الخميس اللى بعده مش ممكن ..

– ليـه يا ابنى ؟ ..

– القمر ح يكون فى برج الحمل فى منزلة اسمها مقدم ودى حاجه شؤم ع الجواز .

– خلينا الخميس اللى بعده ..

– موش ممكن لأن القمر فى برج الدلو وتبقى بلوى لو اتجوزنا يومها .

– كلام إيه اللى بتقوله ده يا عبد الغنى ..

– والله يا عمى ده كلام علمى .. صدقنى ..

– بلاش الخميس .. إيه رأيك فى يوم الحد الجاى ؟

– ده منتهى النحس ع الجواز لأن القمر ح يكون فى منزلة اسمها بلع داخل برج الدلو .

– دلو إيه ؟ ..

– يعنى الجردل ..

– طيب امش أخرج بره ..

وانتابت الأب نوبة عصبية لعن فيها سنسفيل عبد الغنى الذى خدعه وخدع البنت دون أى نية فى الزواج منها ..

حزيناً محطماً دامعاً ، جلس عبد الغنى أمامى بعد أن أشبعوه شتماً وبصقاً ، وفجأة دخل عدنان يبكى ، وفزعت نحوه أستطلع الأمر ، وتبين أنه يبكى بمناسبة وفاة قمبيز بن قورش ملك الفرس قبل الميلاد ، واتضح أن النوبة قد عادت إليه ليعود مرة أخرى إلى مستشفى المجاذيب .

رقم الإيداع ٨٦٢٩ لسنة ١٩٨٧





القاهرة — بيروت

أربعة جنيهات و نصف